

٧٦

عقد الاستقلال

والأمانة  
مركز الدراسات والبحوث

# الاحتلال



Looloo

dvd4arab

## ١ - الخطر ..

من أعمق أعماق الفضاء جاء ..  
من خلف ملايين النجوم ، ومليارات النجوم أقي ..  
ووسط ظلام سرمدي انطلق ..  
ونحو هدف محدود ، اتجه ..  
كان يعبر أجواز الفضاء ، ويشق طريقه بين النجوم  
والكواكب ، من أجل هذا الهدف ..  
من أجل الأرض ..  
كوكبنا ..

ذلك الكوكب المأهول ، الذي يحتل المركز الخامس ، في  
مجموعتنا الشمسية ، من حيث الحجم ، والمركز الثالث من  
حيث ترتيب قربه من الشمس ..  
ذلك الجرم الفضائي ، الذي تغطيه قشرة يابسة ، تشمل  
القارات ، وأحواض البحار والمحيطات ، ويحيط به غلاف  
غازي ، تقل كثافته بصفة عامة كلما ازداد بعدا عن السطح ..



سلوى



نور الدين



محمود



رمزي

الأرض ..

أرضنا ..

وفي صمت وهدوء ، راح الخطر يقترب من الأرض ..

وهناك ، على سطحها ..

حيث الحياة والهدوء والسلام ..

حيث يرتفع علم ( مصر ) ..

هناك بدأت القصة ..

قصة الاحتلال ..

\*\*\*

ساد هدوء محبب إلى النفس ، في تلك البقعة من صحراء  
( مصر ) الغربية ، حيث أقيم أكبر وأضخم مركز في العالم  
أجمع ، للاستشعار الفضائي والإرسال الكوني ، بعد أن  
انقحمت ( مصر ) عصر الفضاء ، مع بداية القرن الحادي  
والعشرين ، وبزّت كل من سبقها في هذا المجال من قبل ..  
وفي تلك الليلة بالذات ، كان كل شيء يدعو إلى الهدوء  
والاستكانة ..

القمر عملاً السماء ، بقرصه الفضّي المستدير ، ويلقى ضوءه  
على رمال الصحراء ، فتألق بذورها كحبات من اللؤلؤ ،  
تكدس بعضها فوق البعض ، وتزاحمت لتحوز النصر ، في  
معركة بلا هدف .

وسكنت الرياح ، إلا من نسيمات رقيقة حانية ، تهمس في  
الآذان ، وتداعب خصلات الشعر ..  
وتراخت الجفون وتكاسلت ، مع نشوة الموقف ، وروعة  
الصورة ..

وفي حجرة المراقبة الرئيسية ، جلس ثلاثة من العلماء  
الشبان ، يتابعون عددًا من الشاشات الفيروزيّة ، التي تعمل  
ليل نهار بلا انقطاع ، لالتقاط أيّة إشارات منتظمة ، قد تأتي  
يوماً من الفضاء البعيد ، فتسبب بوجود حضارة فضائية أخرى ،  
في جنبات الكون الشاسعة ..

وتكاسل وتراخ ، غمغم أحدهم ، وهو يتسم ابتسامة  
متشّية هادئة :

— يا لها من ليلة !!

تتمّ الثاني ، في لهجة بدت أشبه بالتأؤب :

— رابعة !!

أما الثالث ، فقد التفت إليهما ، وابتسم ، دون أن ينبس  
ببت شفّة ، ثم عاد يتطلّع إلى الشاشات في تراخ ، شأن من  
لا ينتظر ، أو يتوقّع أبداً ، حدوث أي أمر غير مألوف ..  
وبفس الهدوء والتراخي ، عاد الأوّل يغمغم :

— أنذكرون متى كانت آخر مرة ، تلقينا فيها إشارات  
منتظمة من الفضاء الخارجي ؟

تمام الثاني :

— منذ خمسة أعوام .

ثم ابتسم ، مستطرذا :

وثبت بعدها أنها مرسله من سفينة فضائية أرضية ، ضلت  
طريقها .

أطلق الثالث ضحكة قصيرة ، ثم عاد إلى صمته ، على حين  
قال الأول ، وقد بدأ صوته يحمل نغمة حماسية خافتة :

— ولكنني والحق من أننا سنتلقى يومًا إشارات من الفضاء  
الخارجي ، ويومها ستأكد من وجود حضارة عاقلة ، ترغب

في عقد أواصر الصداقة مع حضارة كوكبنا .

هزّ الثالث كتفيه ، وهو يغمغم في لامبالاة :

— ربّما .

لم يكذب ينطق بعبارةه ، حتى انبعث فجأة ، من الشاشة  
المواجهة له ، أزيز مقطوع سريع ، وظهرت نقطة مضيئة من

طرف الشاشة ، اندفعت في سرعة نحو الطرف الآخر ، في مسار  
متراقص متعاقف خاطف ، واختفت هناك ، لتظهر مرة أخرى

من الطرف الأول ..

وهنا دبّ نشاط مفاجئ قوي ، في عروق العلماء الشبان  
الثلاثة ، فهبّ كل منهم من مقعده ، وشخصت أبصارهم شطر  
الشاشة الفيروزيّة ، ووجوههم تحمل مزيجًا عجيبًا من الدهشة  
والحماس والتساؤل ، قبل أن يتف الأوّل :

— يا إلهي !!.. لقد أتت أخيرًا .

وراح الثالث يرتجف في انفعال ، وهو يشير إلى الشاشة ،  
قائلًا :

— انظر .. إنها إشارات منتظمة مدروسة ، تزداد قوّة في  
كل لحظة ..

إنها هي .. إنها تلك التي نلتهف إليها منذ خمس سنوات .  
لوح الأوّل بذراعيه ، وهو يتف في حماس :

— دوّن هذه اللحظة أيها التاريخ ، دوّن لحظة اتصال أول  
حضارة عاقلة بنا ..

غمغم الثاني في تردّد وحذر :

— مهلاً .. ربما كانت إشاراتنا نحن .. من يدرى ؟

هتف الثالث :

— كلاً .. إنها إشارات تختلف .

ثم أشار إلى شاشة أخرى ، مستطرذا في انفعال :

— دُعونا نستشر الكمبيوتر .

وانتقلت أصابعه بنفس الانفعال ، إلى لوحة الأزرار ،  
المتصلة بالشاشة الأخرى ، وراح يضغطها في سرعة ، فابعث  
من بوق غائر في تجويف خاص ، إلى جوار الشاشة ، ذلك  
الصوت المعدى للكمبيوتر ، وهو يقول :

— إشارة من مصدر غير بشرى ، منتظمة بشكل تام  
التوافق ، زمنيًا ، وإيقاعيًا ، تأتي من مسافة تقدر بمليون ميل ،  
خارج حدود الغلاف الجوي الأرضي .  
هف الثاني في دهشة :

— مليون ميل !! .. عجبًا !! .. إنها مسافة قريبة للغاية ،  
بالنسبة للفضاء ، وهذا يعنى أنه من الممكن أن نرى ذلك  
الشيء ، الذى يعث بالإشارة ، بواسطة المرصد العادى

انتقل الثلاثة إثر كلمته ، إلى شاشة ثالثة ، حيث ضغط  
الأول زرًا فيها ، فأضيئت على الفور ، وبدت فوقها صورة  
للفضاء بظلامه وتجومه ، وأسرع يوصلها بمعطيات الكمبيوتر ،  
وإحداثياته ، فانتقل المشهد فوقها في سرعة ، وراح يشق الفضاء  
الصامت حتى توقّف عند مجموعة من النيازك ، تنطلق في  
الفضاء ، وراح يتابع حركتها في توافق هادئ ، فهتف الأول ،  
وقد سرت في جسده موجة من غيبة الأمل :

— نياك ١٢

عقد الثالث حاجبيه ، وهو يقول في خيرة :

— عجبًا !! .. وما الذى يصدر تلك الإشارة منها ؟

وعاد يتطلّع إلى شاشة الاستشعار ، التى مازالت الإشارات

تجرى فوقها ، ثم استطرد في مزيد من الخيرة :

— إنها أشبه ببضات حية .

تطلّع زميلاه إلى الشاشة بدورها ، ومضت لحظات من

الصمت ، قبل أن يهتف أحدهما في دُغر :

— يا إلهي !! .. دعكما من الإشارات الآن ، فهناك ما هو

أكثر خطورة .

تطلّع إليه زميلاه في دهشة ، فاستطرد وهو يرتجف :

— إن هذه النيازك بالغة الضخامة ، وازدياد قوة الإشارات

التدرجى ، بالإضافة إلى ذلك المسار ، يشيران إلى نقطة مخيفة .

وشحّب وجهه ، وهو يردف في هلع :

— إن تلك النيازك سترتطم بالأرض .. سترتطم بها حتمًا .

\*\*\*

« بعد ثلاثة أيام !؟ .. »

نطقها ( نور ) في مزيج من الدهشة والجزع ، وهو يحدّق في وجه الدكتور ( عبد الله ) مدير إدارة الأبحاث ، التابعة للمخبرات العلمية المصرية ، الذي ارتسم عليه الأسف والتوتر بأبلغ صورهما ، وهو يهز رأسه مؤيداً ، قائلاً :  
— نعم يا ( نور ) .. ثلاثة أيام فحسب ، وتتلقى الأرض أعنف ضرباتها .. بل لن أكون مبالغاً ، لو قلت إنها ستلقى الضربة القاضية .

لوح ( نور ) بكفه ، وهو يهتف :

— ولكن هذا مستحيل !! .. هناك عشرات النيازك ، التي تحترق غلافنا الجوى ، منذ بدء الخليقة ، ولكن أحدها لم يبدّ كيان الأرض حتى الآن .

تمم الدكتور ( عبد الله ) في مرارة :

— لم يكن أحدها يمثل هذه الضخامة يا ولدي ، ولا يمثل هذه السرعة .

والنقط من فوق مكتبه عدداً من الصور ، وراح يرضها أمام

عيني ( نور ) ، وهو يستطرد في ألم :

— انظر .. هاهي ذى الصور ، التي التقطها مرصّد حلوان ، والتي توضح كيان تلك القافلة القائلة من النيازك .. انظر .. إنها تبدو من بعيد ، كما لو كانت ثلاثة نيازك ضخمة ، يبلغ حجم الواحد منها حجم مدينة كبرى ، ولكن المزيد من الاقتراب يوضّح أنها مجموعة هائلة من النيازك ، متلاصقة على نحو عجيب ، في ثلاث مجموعات ضخمة .

تمم ( نور ) في توتر :

— ربما ساعد هذا على تفتّتها ، عند عبورها غلافنا الجوى ،

واحتراق معظمها ، أو .....

قاطعها الدكتور ( عبد الله ) :

— لقد درس علماءنا هذا الاحتمال يا ( نور ) ، ولكن النتائج كانت أكثر إثارة للربح ، فقد وجدوا أنه ، مع تلك السرعة الفائقة ، والضحامة المذهلة ، ستشئت في عنف ، وتوسع دائرة انتشارها في شدة ، مع احتراق ما لا يزيد على عشرة في المائة منها ، وهذا يعني أنها ستغطي نصف الكرة الأرضية تقريباً .

امتنع وجه ( نور ) ، وتراقصت عضلاته في توثر بالغ ،  
وهو يحاول أن يطرد من ذهنه تلك الصورة البشعة لكوكبه ،  
وهو يتحطم إثر وابل من أمطار نيزكية قاتلة ..  
وانقبض قلبه في مرارة ..

وبكت أعماقه ..

كم يكره الدمار !! ..

كم يمتق العنف والأذى !! ..

وبكل ما تحمله أعماقه من مرارة ، غمغم ( نور ) :

— هناك حل .

ثم ارتفع صوته في جِدَّة ، وهو يستطرد متوتراً :

— حتماً هناك حل .

تهنّد الدكتور ( عبد الله ) ، وقلّب كفيّه في مرارة ، وهو

يقول :

— كيف يا ولدي ..؟ كيف .. لقد قلبنا الأمر على كل

الوجوه ، وقتلناه بجنا ودراسة ، ولكننا لم نجد هذا الحل .

وصمت لحظة ، ثم استطرد في بأس :

— لقد فكّرنا حتى في ضرب النيازك بالصواريخ ، ذات

الرؤوس النووية ، ولكننا وجدنا أن هذا سيزيد من انتشارها

وتشتتها فحسب .

غمغم ( نور ) في شحوب :

— يا إلهي !!

وبعدها عجز عن أن ينطق كلمة واحدة ..

لقد نشأت في حلقه غصّة ، منعتة من أن يتفوّه بحرف

واحد ..

غصّة مؤلمة مريرة ..

وبمقاومة هائلة ، خرج من بين شفثيه صوت شاحب مختنق

متحشج ، يقول :

— أهى النهاية ؟

زفر الدكتور ( عبد الله ) ، وقال في مرارة :

— يبدو أنها كذلك يا ( نور ) .

شحب وجه ( نور ) لحظات ، أمام ذلك الجواب

المروّع ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، استعاد عياده وصرامته ،

وهو يقول في حزم :

— خطأ .

تطلّع إليه الدكتور ( عبد الله ) في دهشة ، وهو يغمغم :

— ماذا تعنى يا ( نور ) ؟

ضرب ( نور ) سطح المكتب بقبضته ، وهو يقول في

حزم :

— أقول إن هذا خطأ .. لن ينسى العالم الآن ، ولدى دليل لا يقبل الشك .

سأله الدكتور ( عبد الله ) ، وقد اختلطت دهشته بهلفة حقيقية ، لمعرفة الجواب :

— أى دليل يا ( نور ) ؟

أشار ( نور ) إلى صدره ، هاتفاً :

— نحن .. أعنى أنا وفريقي .. فلقد انتقلنا في إحدى مغامراتنا إلى المستقبل (٥٠) ، وكانت الأرض موجودة مقدّمة حينذاك ، وهذا يعنى أنها لن تنتهى في هذا العصر .

هزّ الدكتور ( عبد الله ) رأسه نفياً ، وقال في مرارة :

— هذا ليس دليلاً يا ولدى ، فلن تكون تلك الكارثة بأضخم من فيضان ( نوح ) ، الذى أباد العالم كله ، إلا قليلاً ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد بقى العالم ، واستعاد حضارته .  
تمم ( نور ) في اعتراض متخاذل :

— ولكنهم كانوا يعرفوننا ، و .....

لم يتمّ عبارته ، لأنها بدت له ضعيفة سخيفة ، فابتلعها في صمت ، وأعقبا الدكتور ( عبد الله ) بزفرة قويّة ، قبل أن يندفع إليه أحد رجاله ، هاتفاً :

— سيّدى .. لقد حدث أمر بالغ الغرابة !!

(٥) راجع قصة ( عبر العصور ) .. المغامرة رقم (٥٤) .



شخّب وجه ( نور ) لحظات ، أمام ذلك الجواب المروّع ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ..



— سيدي .. لقد حدث أمر بالغ الغرابة !!  
التفت إليه ( نور ) في دهشة ، في حين انتفض الدكتور  
( عبد الله ) ، وهتف :  
— أي أمر هذا ؟  
هتف الرجل :

— التياذك ياسيدي .. لقد زادت سرعتها إلى عشرة  
أضعاف ، حتى أنها قد تجاوزت سرعة الضوء بفترة .  
اتسعت عينا الدكتور ( عبد الله ) ، وهو يقول :  
— ازدادت سرعتها ؟! .. سرعة الضوء ؟!  
ثم هبُّ من مقعده ، صائحًا :  
— واصلوا مراقبتها .. ادرسوا تلك الحالة العجيبة .. أريد  
تقريرًا عاجلًا ، من طاقم علماء الفضاء ، و .....

قاطعهم الرجل في توتر بالغ :  
— إنهم أكثر خبرة منا ياسيدي ، فهم يؤكدون أن سرعة  
التياذك تتزايد ، عند اقترابها من أي كوكب مأهول ، نظرًا  
لجذب الكوكب لها ، إلا أنها أبدًا لا تبلغ هذا القدر من  
السرعة ، الذي يحتاج إلى وقود خاص .  
هتف ( عبد الله ) في عصبية :

— ولكن من الضروري أن ندرس كل شئ عن تلك  
التياذك ؛ لنفهم على الأقل ، ما الذي يعنيه اختراقها لسرعة  
الضوء ؟!

أجاب ( نور ) في صوت متوتر :  
— يعني أنها تعبر حاجز الزمن .  
التفت إليه الدكتور ( عبد الله ) ، وهو يهتف في دهشة :  
— حاجز ماذا ؟

أجابه ( نور ) في توتر متضاعف :  
— حاجز الزمن يا دكتور ( عبد الله ) .. نظرية ( أينشتين )  
القديمية .. لقد حدث ذلك لفريقي يومًا ، وعبرنا حاجز الزمن  
إلى الماضي (\*) .

اتسعت عينا الدكتور ( عبد الله ) في دهشة ، وهو يقول :  
— ولكن ( لماذا ) ..؟ لماذا يحدث هذا ؟  
تردَّد ( نور ) لحظة ، ثم هزَّ كفيه ، مدهمًا :  
— لست أدري .. مازال الأمر يبدو غامضًا .

وهنا اندفع رجل آخر إلى المكان ، وكان يرتجف في قوة ،  
ويعالي شخوبًا مخيفًا ، وهو يقول :  
— سيدي .. إنها النهاية .

حذق الدكتور ( عبد الله ) في وجهه في ارتياح ، وهو  
يقول :

— أية نهاية يا رجل ؟

— هتف الرجل في انبهار :

(\*) راجع قصة ( ثقب في التاريخ ) .. المغامرة رقم ( ٤٣ ) .

— النيازك .. لقد .. لقد ظهرت بغثة ، عند غلافنا  
الجوى .. استهوى فوق رؤوسنا بعد لحظات .

\*\*\*

كانت مفاجأة مذهلة بحق ..  
مفاجأة ألجم لها لسان ( نور ) ، والدكتور ( عبد الله ) ..  
وفجأة ، هتف الأول :

— ربّاه .. إنها لم تمنحنا حتى فرصة الدفاع .  
وقفز الثاني يضغط زرّ الراصد ، ثم تراجع ، هاتفاً في  
ارتياح :

— ياربّ السموات !!

فقد كانت شاشة الراصد تنقل مشهداً رهيباً ..  
آلاف النيازك تحترق الغلاف الجوى الأرضى ..  
ككل من النيران تعبر المجال ..

السماء تحطر هبياً ..

هتف الدكتور ( عبد الله ) في ارتياح :

— إنها النهاية .. إنها النهاية ..

ولكنه كان مخمطاً ..

لم تكن النهاية ..

كانت البداية ..

\*\*\*

كان الجميع يتوقّعون صدمة هائلة ..  
ارتطاماً رهيباً ، وبعده تفتى الحضارة ..  
كانوا يتوقّعون نهاية مخيفة ..  
نهاية تأتي على حين غرة ، فتسلبهم حياتهم وحضارتهم  
وماضيهم ..

ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ..

لقد تفرقت النيازك ، وتشتتت حقاً ، عند عبورها الغلاف  
الجوى للأرض ، فانتشرت لمساحة هائلة ، غطت قارات  
الأرض الست دفعة واحدة ..

ولكن مخلوقاً واحداً ، على الأرض بأسرها ، لم ينصب بأدنى  
ضرر ..

جسدياً على الأقل ..

كل النيازك — على الرغم من أعدادها الهائلة — هبطت  
في مناطق غير مأهولة من القارات الست .

من ( أستراليا ) إلى ( أمريكا الجنوبية ) ..

كل بقعة خالية من الأرض ، هبطت فيها بعض النيازك ..

( نور ) ..

وحده كان يشعر بالخطر ..

وحده كان يشعر أن هذا الأمر مُريب ..

وحده كان يشعر أنه مخيف رهيب ..

ووسط فرحة النجاة العارمة ، أمسك ذراع الدكتور

( عبد الله ) في قوّة ، يسأله في توثر :

— قُل لي .. كيف حدث هذا ؟

هتف الدكتور ( عبد الله ) ، وهو يلوّح بذراعيه في فرح :

— دعك من كيف حدث .. المهم أننا قد نجونا يا فتى .

صاح به ( نور ) في جِدّة :

— مَنْ قال هذا ؟

توقف الدكتور ( عبد الله ) وتطلّع إليه في دهشة ،

مغمغماً :

— ماذا تعنى ؟

هتف وهو يشير إلى شاشات الراصد :

— أعنى أنه من المفروض أن يولّد فينا ما حدث مزيداً من

القلق والخوف ، فهل رأيت في حياتك كلها ، أو قرأت ، أو

سمعت عن نيازك ، تهبط في هدوء ، كما لو كانت سفن فضاء ؟

حتى البحار والغيطات ..

حتى الارتطام ، لم يكن قوياً ..

لقد انخفضت سرعة النيازك بغتة ، كأنما كانت هناك قوى

مخيفة تمحّركها ، وهبطت كلها على الأرض في لحظة واحدة ،

وهدوء تام ..

ثم ساد الصمت ..

كانت لحظة رهيبية ، من لحظات التاريخ ..

لحظة صمتت فيها الأرض كلها ..

كلها بمعنى الكلمة ..

كل مخلوق على وجه الأرض حبس أنفاسه في انفعال ..

ثم انفجر الجميع دفعة واحدة ..

كانت فرحتهم عارمة قويّة جارفة ..

فرحة المحكوم عليه بالإعدام ، عندما يصدر لصالحه عفو

شامل تام ، قبل لحظة واحدة من التفاف جبل المشنقة حول

عنقه ..

وراح الجميع يتبادلون التهتة ، وكلمات السعادة

والارتياح ..

فيما عدا رجلاً واحداً ..



اندفع وخلفه ( نور ) ، إلى شاشة كمبيوتر ضخمة ، ضغط أحد أزرارها في لحظة فارتسمت فوقها خريطة كاملة للكرة الأرضية ..

اتسعت عينا الدكتور ( عبد الله ) ، وهو يقول في دُعر :  
— ماذا !؟ ..

وتسمر في مكانه لحظة ، ثم هتف في ارتجاع :

— اللعنة !! هذا صحيح .. كيف حدث هذا حقًا ؟

هتف به ( نور ) :

— سأل نفسك .

عاد الرجل يتطلع إليه في هَلَع ، ثم هتف :

— بل دُعنا نسأل الكمبيوتر .

اندفع وخلفه ( نور ) ، إلى شاشة كمبيوتر ضخمة ، ضغط أحد أزرارها في لحظة ، فارتسمت فوقها خريطة كاملة للكرة الأرضية ، وبضغطة زرٍ أخرى ، راحت آلاف النقاط المضيئة تظهر فوقها ، فعقد الدكتور ( عبد الله ) حاجبيه ، مغمغمًا :  
— عجبًا !! .. كل النيازك — بلا استثناء — هبطت في أماكن غير مأهولة .

سأله ( نور ) في توتر :

— أيدو لك ذلك طبيعيًا ؟

هز الرجل كتفيه ، قائلاً :

— على العكس .. إنه يبدو مريبًا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في جدّة :

انظر .  
ساد صمت مفاجئ ، والجميع يتطلعون إلى الشاشة ، التي  
تنقل صورة الصحراء ، والنيازك الضخمة ، المستقرّة على رمالها  
في سكون ..

وحول النيازك ، راحت سحابة وردية تنتشر في بطن ..  
سحابة هادئة ، ناعمة ..

سحابة تصنع في بطن ، ما يشبه قبة وُردية ، تخفى تحتها خمسة  
من النيازك ..

بالتحديد خمسة ..

وفي كل أنحاء العالم ، كان الشيء نفسه يحدث ..

سحب وردية تحيط كل خمسة نيازك بقبة واحدة ..

وتعم الدكتور ( عبد الله ) في خوف :

— ما هذا بحق السماء ؟

أجابته ( نور ) في توثر مماثل :

— غزو !!

التفت إليه كل العيون في رُعب ، إلا أنه استطرد في حزم :

— ألا يبدو لكم هذا واضحاً ؟ إنه غزو .. غزو من الفضاء

الخارجي .

\*\*\*

— ونحيفاً كذلك .

أوماً ( نور ) برأسه موافقاً ، وقال في حزم :

— لو أننى تركت لحياى العنان ، فيمكن القول ، بلا

تردد ، إنها ليست نيازك .

ازدرد الدكتور ( عبد الله ) لعابه في صعوبة ، وغمغم :

— ما هي إذن ؟

صمت ( نور ) لحظة ، ثم عاد يقول بمزيد من الحزم :

— من يدري يا دكتور ( عبد الله ) ؟ .. من يدري ؟

وفجأة ، شقت شهقة قوية المكان ، وبعثت رجفة في أجساد

الجميع ، قبل أن يتف الدكتور ( عبد الله ) في توثر بالغ :

— ماذا هناك ؟

صاح مراقب الراصد في شُحوب :

— سيدي .. انظر .. انظر ماذا يحدث هناك !!

أسرع الجميع إليه ، والدكتور ( عبد الله ) يتف في عصبية :

— ماذا تعنى بهناك ؟

هتف الرجل في توثر :

— في أقصى الصحراء الغربية يا سيدي .. حيث هبط أكبر

عدد من النيازك ..

## ٤ - وبدأت المأساة ..

ساد المرح والمرج ، في قاعة مجلس الأمن ، بمبنى الأمم المتحدة ، حيث اجتمع مندوبو دول العالم ؛ لمناقشة أمر تلك القباب الوردية الخفيفة ، التي غمرت العالم كله دفعة واحدة ، واضطر رئيس الجلسة أن يضرب سطح منصته بمطرقته ، هاتفاً :

— مهلاً أيها السادة .. مهلاً .. شجاركم هذا لن يحل شيئاً من الأمر .. إننا نواجه الآن مشكلة عاتقة ، بهم العالم أجمع ، فالتزموا الهدوء .

نهض مندوب الاتحاد السوفيتي ، هاتفاً :

— إنه ليس شجاراً .. إنني أتحدث عن حقائق ، وألهم الولايات المتحدة الأمريكية رسمياً ، بأنها وراء كل هذا .  
لوح مندوب الولايات المتحدة الأمريكية بذراعه ، وهو يهتف في لهجة تجمع ما بين الغضب الجارف ، والسخرية اللاذعة :

— هل لك أن تفسر لي إذن أيها الرفيق ، السبب الذي

يدفعني إلى الجلوس هنا ، والاستماع إلى سخافاتك ، في حين تملك دولتي سر تلك القباب الوردية ، التي تنتشر في العالم أجمع ، والتي يقف الجميع عاجزين أمامها ؟ ..

ران الصمت التام على المكان إثر عبارته ، وارتسمت الحمية على الوجوه ، إزاء منطقيتها ، بعد أن كان الأمل قد راود الجميع ، في أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية هي المستولة عن كل ذلك حقاً ، مما يقلل من حجم الحوف والقلق ، إلا أن المندوب الأمريكي لم يلبث أن استطرد في خنق :

— لقد واجهتم جميعاً تلك القباب الوردية ، وجابتموها بكل ما لديكم من قُوَى ، فماذا حدث ؟

لم ينس أحدهم بيت شفة ، فأردف في جدة :

— نحن هاجمناها بالدبابات الذرية ، ومدافع الأليزر ، والسوفيت أطلقوا على بعضها صواريخ ذات رؤوس نووية ، وفي ( مصر ) جابوها بموجات ارتجاجية .. وفي ( الجزائر ) ، و ( المغرب ) ، و ( عُمان ) ، و ( الأردن ) .. في كل دول العالم تقريباً .. وماذا كانت النتيجة ؟

انتظر أن يسمع جوابها ، ولكن الصمت ظل مسيطراً على الجميع ، فعاد يتابع في مرارة :

وأطلق من أعماق أعماقه زفرة هائلة ، قبل أن يردف :

— كلنا فشلنا وخسرنا .. كلنا عمجنا ..

واستعاد صوته جذته بغتة ، وهو يهتف :

— لماذا ؟! .. سلوا أنفسكم : لماذا ؟! .. الجواب أيها

السادة — وبكل صراحة ووضوح — هو أننا لانملك القوة

الكافية لصد هذه القباب ، التي لاندرى عنها ، وعن

مكوناتها ، وعن فحواها شيئاً .. إنها — باختصار — سلاح

هائل ، تفجز كل قوانا ، وتكنولوجيا المتطورة ، في القرن

الحادى والعشرين عن صده ، والدولة التي ستمتلك هذه

القوة ، سيمكها — ببساطه — أن تسيطر على العالم أجمع ،

وتحكمه .

وعاد صوته ينخفض فجأة ، وهو يستطرد :

— فلماذا لم يحدث هذا ؟

ارتسمت الخيرة على الوجوه ، وسط صمت مُطبّق ، قطعته

صوته ، الذي عاد يهدر من جديد ، هاتفاً :

— سأخبركم أنا لماذا .. لأنه لاتوجد دولة واحدة ، في

كوكب الأرض كله ، تمتلك مثل تلك القوة ، التي هي — كما

هو واضح — من خارجنا .

وبدا صوته قوياً ، كقرع ملايين الأجراس ، وهو يردف

في حزم :

— من خارج كوكب الأرض ..

\*\*\*

« ( نور ) ... إنك ترعبنى ! ..

هتفت ( سلوى ) بهذه العبارة في صوت مرتجف ، وهي

تحذق في وجه ( نور ) في خوف ، متمنية أن يبدو عليه ما يشير

إلى أنه يمزح ، إلا أنه بدا جامداً ، وهو يقول :

— هذا هو التفسير الوحيد يا ( سلوى ) .. إنها طبيعة غزو

فضائي .

شُحِب وجهها في شدة ، وهي تهتف :

— ولكن يا ( نور ) ..! يا إلهي !! .. مادمانا نعجز عن صد

تلك المحاولات الأولى ، فهذا يعنى أننا سنخسر معركتنا

وأرضنا .. سنخسرهما حتماً .

تمم في ضيق ، وهو ينطلق بسيارته ، عائداً إلى منزلهما :

— هذا القول سابق لأوانه يا ( سلوى ) .. إننا لم نجزم

بصحة هذا الافتراض بَعْدُ .

قالت في توأثر :

— ولكن لماذا يسود ذلك السكون؟! لقد هبطت تلك  
النيازك الغامضة ، التي أحيطت بالقباب الوردية على أرضنا ،  
منذ ثلاثة أيام ، وطوال تلك المدة لم يحدث شيء .. أى شيء ..  
إن قواتنا محاصرة القباب الوردية ، وكذلك قوات كل دول  
العالم تقريباً ، فما الخطوة التالية ؟  
صمت لحظة ، ثم أجاب فى لحفوت :

— الهجوم .

لجئ إليها أنها لم تحسن فهم الكلمة ، فعدت تسأله فى شيء  
من الجزع :

— ماذا ؟

ارتفع صوته ، وهو يقول فى جدّة :  
— الهجوم .

امتقع وجهها ، وهى تغمغم فى ارتياح :  
— يا إلهى !! .. هجوم ؟  
قال فى عصبية :

— نعم .. هجوم شامل عنيف .. هجوم يبدأ بعد أن ينتهى  
هؤلاء الأوغاد من دراسة كل ما يتعلق بمناخنا وقدراتنا ، من  
داخل قبابهم الوردية اللعينة .

ازداد امتقاعها ، وهى تهف :

— ( نور ) !! .. أتعى أن تلك النيازك .....

لم ينتظر حتى تكمل سؤالها ، بل أجاب فى جدّة :

— نعم .. إنها سفن فضائية خارجية ، تكثرت على هيئة

مجموعات من النيازك ، حتى تعبر غلافنا الجوى أولاً .. إنه غزو

يا عزيزتى .. غزو فضائى شامل .

\*\*\*

كل العالم سادته تلك الموجة من القلق والتوتر والخوف ..

كل العالم راح يستتج ويستتج ..

كله راح يرتجف ..

النقطة الوحيدة ، التى اتفق عليها الجميع ، هى أن كل هذا

قد جاء من بعيد ..

من الفضاء الخارجى ..

من نقطة مجهولة ، فى ذلك الفراغ السرمدي ..

وفى توتر بالغ ، وقلق رهيب ، وخوف عارم ، راح العالم

ينتظر الخطوة التالية ..

ولقد جاءت ..

جاءت بغتة ..





ولم يهبط هذا النيزك على سطح الأرض ..  
 — لقد توقّف في الفضاء على ارتفاع بضعة آلاف من الكيلومترات ..

ففي السادسة من صباح اليوم الرابع ، من الغزو الصامت ،  
 التقطت المراصد الفضائية في العالم أجمع صورة نيزك هائل ،  
 يقترب بدوّره من كوكب الأرض ..  
 في هذه المرّة كان كتلة واحدة ، وليس مجموعة من النيازك  
 كذى قبل ..

ولم يهبط هذا النيزك على سطح الأرض ..  
 لقد توقّف في الفضاء ، على ارتفاع بضعة آلاف من  
 الكيلومترات عن سطحها ، وبقي صامتاً ساكناً ..  
 ومن العجيب أن دولة واحدة لم تطلق نحوه مدافعها  
 الليزرية ، التي اكتظت بها تلك الأقمار الصناعية الدفاعية ،  
 التي احتشدت حول الأرض ..  
 كان هائلاً ، حتى أن الجميع قد خشوا من ردّ الفعل ، فأثروا  
 الصمت والانتظار ، خشية التورط في عمل لا لئحمد عقباه ..  
 وفجأة ، التقطت أجهزة الاستقبال ، في العالم أجمع ، رسالة  
 غامضة ..

رسالة بلغة غير مفهومة أو معروفة ..  
 وهنا حدث ما ارتجف له العالم أجمع ..

## ٥ — القتال ..

كانت كل القباب محاطة بقوات ضخمة ، متأهبة لأي موقف مفاجئ ، ومستعدة لصد أى هجوم مباغت .. وعلى الرغم من ذلك ، كانت المفاجأة ساحقة .. لقد انطلقت من القباب فجأة ملايين المقاتلات الفضائية .. من كل قبة انطلقت مئات ..

وبسرعة مذهلة ، ومناورات رائعة ، وانقضاضات بارعة ، بدأت المقاتلات هجومها ..

ومن مقدماتها ، انطلقت أشعة أرجوانية ، تفتك بكل ما تمسّه ، ومن تمسّه ، من بشر ، أو حيوان ، أو جماد ، أو طير ..

وقاوم جنود البشر في بسالة ..  
قاوموا بكل ما يملكون من قوة ..  
ولكن المعركة لم تكن متعادلة ..  
كانت رهيبة ..

لم تكذب تلك القباب الوردية تتلقى الإشارة الغامضة ، حتى تحوّل لونها في ببطء ، من الوردى إلى الأزرق ..  
كان اللون الأزرق ينتشر من قاعدة القباب إلى قممها في ببطء ، كما لو كان ضباباً متصاعداً ..  
وعندما اكتمل التحوّل ، فتحت أبواب القباب دفعة واحدة ، في كل أنحاء العالم ..  
وبدأت المعركة ..  
معركة الغزو ..

\*\*\*



ومن المستحيل أن ينجح كاتب أو أديب — مهما بلغت براعته — أن يصف ما حدث ..

ليس لأنه لا يوصف ، ولكن لأن الوقت الذي استغرقه المعركة ، لم يكن يكفي لمعرفة تفاصيلها ..

لقد تصدّت قوات الأرض للهجوم ، و ..... وانسحقت ..

هكذا ..

بهذه البساطة ..

في نفس الوقت الذي استغرقه الانتقال من السطر الأوّل إلى التالي ..

لقد هاجمت المقاتلات الفضائية ، واستعدت القوات الأرضية لصدّ الهجوم ، ولكن مقاتلات الفضاء سحقّت ستين في المائة منها مع الضربة الأولى ..

وبرغم هذا ، لم تتراجع القوات الأرضية .. قاومت في بسالة ..

واستغرقت مقاومتها دقيقة واحدة لحسب .. ولم تسقط أيّة مقاتلة للعدوّ خلالها ..

ثم هزّت الضربة الثانية على الرؤوس ..

وانسحقت القوات الأرضية الباقية .. انسحقت سحقًا ، كما لو كانت أرنبًا وليدًا ، وطبته أقدام أضخم أحيال الغابة ، بلا رحمة أو شفقة .. وفقدت الأرض في ضربة واحدة ربع قواتها المقاتلة .. وسادت حالة من رُعب هائل ..

لقد نقلت شاشات المولوفيزيون ما حدث ، فوقع الرُعب في قلوب الجميع ، وارتجفت الأجساد في هلّع .. هاهي ذى الأرض تواجه ما لا يقبل لها به .. تواجه غزواً هائلاً رهيباً ..

وفي كل أنحاء الأرض ، من أقصاها إلى أقصاها ، ساد رُعب هائل ..

وفي منزل ( نور ) ، هبّ هذا الأخير ، هاتفاً :

— يا إلهي !! .. هذا ما عشيته طيلة عُمرى .

ثم اختطف سترته الجلدية ، وهو يستطرد في انفعال :

— هيا يا ( سلوى ) .. سنذهب إلى إدارة المخابرات ،

لأريب أنه سيطلبونا هناك على الفور .

صاحت ( سلوى ) في رُعب :

— وماذا عن ( نشوى ) ؟ .. إنها لم تُعد من عملها بَعْد .

هتف وهو يجذبها من معصمها إلى الخارج :

— سنلتقطها من هناك .. هيا .

قفزا معا داخل سيارته الصاروخية ، التي انطلق بها في  
توكر ، وهو يتف :

— المذيع .

وعلى الفور ، انطلق مذيع السيارة يعمل ، استجابة لأمر  
( نور ) ، الذي عاد يتف في توكر :

— محطة الأخبار .

انتقلت موجة المذيع تلقائياً إلى المحطة الإخبارية ، استجابة  
لأمر ( نور ) ، وارتفع صوت مذيع المحطة المتناعة ، وهي  
تتف :

— دمار شامل .. لقد انهزمت كل قواتنا ، التي كانت  
تحاصر القباب الوردية ، وأنا أرى الآن مقاتلات العدو  
الفضائي المجهول ، وهي تحلق فوق القباب ، التي تحوّل لونها  
إلى الأزرق ، وفوق قواتنا المسحوقة ، كسور ظافرة ، تحلق  
فوق ضحيتها .. إنها زعب هائل أيا السادة .. أقصد ذلك الذي  
أشعر به .. إنه .....

وصمت لحظة ، ثم هتفت في انفعال :

— بلغنا الآن أيا السادة ، أن قواتنا المسلحة قد قرّرت  
مواصلة القتال ، والدفاع عن أرضنا ودولتنا ، مهما كان  
الثمن .. كما أن دول العالم كلها قد اتفقت على استخدام

أقمارها الصناعية ، المزوّدة بمدافع الليزر ، لصد الهجوم ،  
والدفاع عن الكوكب .

هتف ( نور ) :

— كفى .

قالها وأوقف سيارته في حِدة ، أمام مركز الكمبيوتر ، حيث  
تعمل (نشوى) ، وقفز من سيارته ، وهو يتف :

— انتظري هنا يا ( سلوى ) .

صاحت في توكر :

— سأذهب معك .

هتف في عصبية :

— قلت انتظري هنا .

واندفع نحو باب المركز ، حيث استوقفه حارس الأمن ،  
فهتف به ، وهو يبرز بطاقة اخبارات العلمية :

— ابتعد .. الوقت لا يسمح بتلك المهاترات .

ومن العجيب أن الحارس قد ابتعد على الفور ..

أو أن هذا كان طبيعياً ، في ظل تلك الظروف الخفية ..

وأسرع ( نور ) يقبّر ممرّات المبنى ، حتى دلف إلى أحد

حجراته ، وهتف :

— ( نشوى ) .

هبت ابنته من مقعدها ، وهي تتف :

— أبى .. كنت أعلم أنك ستأتى .

وألقت نفسها بين ذراعيه ، وهى تبكى هاتفة :

— إننى أرتجف رعباً .. لقد خشيت حتى أن أعادر المكان ،

.....

بترت عبارتها بغتة ، عندما شعرت بتلك الانتفاضة القويّة ،

التي سرّت بغتة فى جسد والدها ، وسمعت صوته المدهول ،

وهو يغمغم :

— يا إلهى !!

فتباعدت عن والدها بطول ذراعيها ، وهى تهتف فى هلع :

— أبى !.. ماذا هناك ؟

لم يجب ، فقد كان يحدّق فى نافذة حجرتها ، مما دلّعها إلى

الانفضات خلفها ، إلى حيث ينظر ..

ولم تكذب ، حتى شهقت فى رُعب ..

لقد رأت أمامها تلك المقاتلات الفضائية ..

رأىها تقضّ على المبنى ..

ورأت أشعتها الأرجوانية المدمّرة تنطلق ..

\*\*\*

## ٦ — الدمار ..

اندفع الدكتور ( عبد الله ) ، داخل حجرة القائد الأعلى  
للمخابرات العلمية المصرية ، والدُغْر يملأ ملاحظته ، وهو  
يهتف :

— سيّدى .. هل رأيت ما حدث ؟

هتف به القائد الأعلى ، وهو يللملم أوراقه السريّة ، ويُلقي

بها داخل آلة تدمير خاصّة :

— رأيت يا دكتور ( عبد الله ) ؟ لقد نقلت إلى شاشة

الراصد ذلك المشهد الأخير ، عندما بدأت أقمار الليزر  
هجومها .

وتوقّف لحظة ، ليرفع عينيه إلى الدكتور ( عبد الله ) ،

مستطردّاً :

— لقد كان ذلك مروّعاً .

هتف الدكتور ( عبد الله ) فى هلع :

— بالتأكيد .. لقد هاجم ذلك التيزك الرهيب ، الذى

يحتلّ فضاء كوكبنا ، كل الأقمار الصناعية ، وسحقها سحقاً

بأسعته الأرجوانية الهائلة ، التى بلغ نصف قطر مقطعها عشرة

كانت سرعة استجابة ( نور ) خرافية في ذلك الموقف .  
لقد جذب ابنه في قوّة . ودفعها جانبا ، في نفس اللحظة  
التي أصابت فيها الأشعة الأرجوانية الساحقة المبنى المركزي  
للكمبيوتر ..

وتفتّحت جدران المبنى ، وراح ينهار في عنف ،  
( و نشوى ) تصرخ :

— إيهم يقتلوننا يا أبى .. يدمرونا .

جذبها خلفه . وهو يعدو هاتفا في حزم :

— لا ينبغي أن نسمح لهم بذلك .

راحا يعدوان غير ممرات المبنى ، التي تهدم نصفها ،  
والأشعة الأرجوانية تنهال على المكان ، وتسحق جدرانه  
سحقا ، حتى بلغا خارجه ، ورأيا ( سلوى ) تكاد تنهار جزعا  
ولؤعة ، فقفزا داخل السيارة ، وصاحت هي في لهفة ، وهي  
تضمّ ابتها إلى صدرها :

— ( نشوى ) !!.. يا إلهي !.. لقد خشيت أن .....

لم تكمل عبارتها ؛ لأنها لم تحتمل ذكر موطن خوفها  
الحقيقي ، فعادت تضمّ ابتها إلى صدرها ، على حين كان  
( نور ) ينطلق بسيّارته في بقاء نسي ، وسط حالة من الهزج ،

كيلومترات كاملة .. لقد فقد العالم كله أقماره الصناعية  
ياسيدى .. لقد فقدنا وسائل الاتصال الدولية ، ووسائل  
الدفاع الفضائية كلها .. لقد خسرنا كل هذا بضربة واحدة .  
قال القائد الأعلى ، وهو يواصل تدمير كل أوراق إدارة  
الختابرات العلمية ، التي تحوى ملفات الإدارة كلها .  
— من الواضح أننا نواجه عدوا لا قبل لنا به هذه المرّة ..  
يا إلهي !!.. ليت ( س ١٨ ) كان هنا (\*) .

هتف الدكتور ( عبد الله ) :

— لم يُعدّ هناك وقت للآمال .. إن ( س ١٨ ) يرقد الآن  
في قرار اغيظ ، ثم إنه ليس سوى شخص آلى ، مهما بلغت قوته  
وإمكاناته .

هتف القائد الأعلى :

— في الواقع لم يُعدّ هناك وقت لأي شيء .. إننا سنخسر  
حتمًا ، المهم الآن هو أن ندمر كل ما خلفنا .  
وزفر في عمق ، قبل أن يستطرد في مرارة :  
— وأن نعرف بأنها النهاية .. نهاية الأرض ..

\*\*\*

(\*) راجع فصول ( المقاتل الأخير ) ، و ( غزو الأرض ) ،  
( وجيم أرغوران ) ، و ( المحيط الملتهب ) .. المغامرات رقم ( ٤٧ ) ،  
و ( ٤٩ ) ، و ( ٥٩ ) ، و ( ٦٣ ) .

والترعب سادت كل الشوارع والطرق ، والجميع يتدافعون  
للهرب والفرار من الخطر ، إلى أى مكان ، وأى هدف ..

وغمغم ( نور ) فى خفق :

— يا إلهى !! ماذا يحدث هنا ؟

هتفت ( سلوى ) :

— يبدو أنهم يدمرون كل أوجه حضارتنا .. لقد أعلن  
المدعياع أنهم قد دمروا أبراج البث الهولوجرافى الجسم ، ولم يُعد  
لدينا هولوفيزيون .. بل لم يُعد لدى العالم كله مثله ، وهاهم  
أولاء قد دمروا المبنى المركزى للكمبيوتر ، مما يقطع الصلة بين  
أجهزة الكمبيوتر فى البلاد ، ويعيدنا إلى عصر ما قبل الوحدة  
المركزية الأم .. يا إلهى يا ( نور ) .. إننا نعود إلى بدايات القرن  
الحادى والعشرين .

هتف فى جدّة :

— ليس هذا هو موطن الخطر يا ( سلوى ) ، فأنا أرخف ،  
كلما تصوّرت أن تمتد موجة التدمير هذه إلى المفاعلات  
النووية ، فى أنحاء العالم .

امتقع وجه ( نشوى ) ، وهى تهتف :

— يا إلهى !! ستكون كارثة .



واحا يعدوان غير ممرات المبنى ، التى تهدم نصفها ، والأشعة الأرجوانية  
تنهال على المكان ، وتسحق جدرانها سحقاً ..

هتفت ( سلوى ) :

— بل مأساة .

صاح ( نور ) :

— ينبغي أن نعلم ما يحدث حولنا .

وهتف أمراً كميونتر السيارة :

— المذباع .

وعلى الفور ، انطلق صوت مذباع السيارة :

— لقد دمروا كل شيء .. المكتبات العامة .. الكبارى

والجسور .. لقد أصابوا برج ( إيقل ) فى ( باريس ) ،

وسحقوه سحقاً ، وحطّموا تمثال الحرية الأمريكى ، وحولوا

مبنى ( الكريملين ) فى ( موسكو ) إلى أنقاض (\*) .. إنهم

يدمرون الحضارات والتاريخ والمستقبل .. إنهم يحطّمون كل

شيء .

إنهم .....

انطلقت بعتة شوشرة قويّة ، انقطع بعدها الإرسال تماماً ،

وهتفت ( نشوى ) ، وهى تشير إلى سحابة سوداء ، تصاعدت

من بعيد :

(\*) الكريملين : مقر حكم الحزب السوفيتى .

— انظروا .. لقد نسفوا محطة البث الإذاعى الجديدة .

ثم استطردت فى ارتياع :

— وماذا عن ( رمزى ) ؟ .. ماذا أصابه ؟

أوقف ( نور ) سيارته فى جدّة ، ثم هتف ، وهو يديرها

بصاراً :

— صدقت .. ينبغي أن نجتمع شمل الفريق أولاً .

ثم عاد يطلق صوّب منزل ( رمزى ) ، وهو يستطرد :

— سنلتقط ( رمزى ) أولاً ، ثم الدكتور ( حجازى ) فى

طريقنا ، و ( محمود ) فى النهاية .

هتفت ( نشوى ) :

— أسرع يا أبى .. أسرع .

هتف فى توتر :

— هذه أقصى سرعة يسمح بها الزحام .. لقد غادر الجميع

منازهم ، و .....

قبل أن يتمّ عبارته ، برزت المقاتلات الفضائية فى الأفق ،

وصرخت ( سلوى ) فى رُعب هائل :

— لقد وصلوا

ولم تكذبتم هتافها ، حتى هزت الأشعة الأرجوانية الساحقة



على الرؤوس ، وراحت تسحق السيّارات والمباني والبشر بلا  
تمييز ، فصرخت ( نشوى ) :

— إنها إبادة .. إبادة كاملة .

صاح وهو يتفادى حُزم الأشعة الأرجوانية في صعوبة  
ومهارة :

— كلاً .. إنهم لا يقصدون إبادة تامة ، فهم يحطمون فقط  
ما يجدونه في طريقهم ، باستثناء الأهداف المحدودة مسبقاً .. إنه  
نوع من اسعراض العضلات ليس إلا ..

هتفت ( نشوى ) في ارتياح :

— و ( رمزي ) ؟!

صاح في توأثر :

— لقد وصلنا إلى منزله ، فهو في المتعطف التالي ، و .....

كان ينطق بعبارة ، وهو يتعطف بالفعل ، لذا فقد أنهاها  
بشبهة جزع ، وبضغطة قويّة على كاحية السيّارة ، قبل أن  
يهتف :

— يا إلهي !!

ومع هتافه ، اتسعت عيون ( سلوى ) و ( نشوى )

زُعياً ..

كل هذا ؛ لأن منزل ( رمزي ) لم يكن في موضعه ..  
كان هناك حطام فحسب ..

حطام منزل مسحوق ..

\*\*\*

اتسعت عينا ( نشوى ) في زُعب هائل ، وهي تردّد :

— ( رمزي ) .. مستحيل أأ .. مستحيل !!

صاحت أمها ، وهي تضمّها إلى صدرها في حنان :

— كفى يا بنتي .. إنه قدره .. إنه .....

صرخت ( نشوى ) في انبهار :

— لا .. لا .. مستحيل !!

صاح بها ( نور ) :

— كفى .

ثم هوى على وجهها بصفعة قاسية ، اتسعت لها عيناها في  
ذُعر ، ثم لم تلبث أن انفجرت باكية ، على حين عاد هو ينطلق  
بالسيّارة ، هاتفاً في مرارة :

— لهذا أكره الحروب والدمار يا بنتي .. فهذه هي سمّتها ..

أن نخسر الأحياء والأصدقاء ، دون أن ندري السبب .. هذه

هي الحروب .

راح بقاوم دمة عيدة فى عينيه ، المحدثت من عيني  
( سلوى ) ، وهى ترذد فى ألم :

— نعم .. هذه هى سمة الحروب .

أما ( نشوى ) ، فقد ظلت تبكى فى مرارة ، وهى تستعيد  
كل ذكرياتها مع خطيبها ( رمزى ) ، وتجتز مرارها ..

وأمام منزل الدكتور ( حجازى ) ، أوقف ( نور )  
سيارته ، وقفز منها ، وهو يتف :

— حمد الله .. منزله سليم .

راح يندق الباب فى عنف ، دون أن يحصل على استجابة ،  
فأسرع ينتزع مسدسه الليزرى ، ويطلقه على رجاج الباب ، ثم

اندفع إلى الداخل ، وهو يتف :

— دكتور ( حجازى ) .. أين أنت ؟

كان المنزل خاليًا تمامًا ، فهتف ( نور ) فى خنق :

— أين أنت ؟

ثم عاد أدراجه إلى سيارته فى سرعة ، وقفز داخلها ، وهو  
يتف :

— إنه ليس هنا .

سأله ( سلوى ) فى جزع :

— أين ذهب ؟

صاح وهو ينطلق بسيارته .

— ليتنى أعلم .

قالها وتوقف أمام منزل ( محمود ) ، وهو يتف :

— هذا المنزل سليم أيضًا .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى رأى ( محمود ) يغادر المنزل ،  
ويُسرع إليه هاتفاً :

— كنت أعلم أنك ستأتى يا ( نور ) .. كنت أنتظر .

كان يحمل حقيبته الخاصة ، التى تحوى جهاز فحص  
الإشعاع ، مع كمبيوتر صغير ، وألقاها داخل السيارة ، ثم قفز

داخلها ، وهو يستطرد :

— هيا يا ( نور ) .. فلنذهب إلى منزل ( رمزى ) ،

و.....

قاطعه ( نور ) فى مرارة :

— لم يُعد المنزل هناك ..

اتسعت عينا ( محمود ) فى هلع ، وهو يتف :

— يا إلهى !!.. لقد كنت أتحدث مع ( رمزى ) منذ قليل ،

غُتِر جهاز التليفيديو ، قبل أن ينسفوا شبكة الاتصالات ،

و.....

بتر عبارته بغتة ، وازدادت عيناها اتساعًا ، وهو يستطرد :

— يا إلهى !!.. هل تعنى ؟

انفجرت ( نشوى ) باكياً ، وهى تهتف :

قوتنا ، وكل تاريخنا وحضارتنا ، ولم يُعَدِّ لدينا سوى أن نتحاور  
فلسفياً .

هتفت ( سلوى ) فى ألم :

— مستحيل يا ( نور ) !! .. مستحيل أن يفقد كوكب  
كامل حضارته ، وتاريخه فى لحظات !! مستحيل !!  
قال ( محمود ) فى ألم :

— ولكن هذا ما يحدث بالفعل يا ( سلوى ) .. إنهم  
يدمرون مكباتنا ، وكل المكبات العائمة فى العالم ، والمتاحف  
ودور الفنون والآداب ، و.....  
لم يم عبارة ..

لقد بترها عندما اندفع إلى الأمام ، إلى توقف سيارته ( نور )  
بغته ..

وهتف ( محمود ) فى خنق :

— ماذا حدث ؟

لم ينبس ( نور ) ببنت شفة ..

فقط أشار إلى منطقة خالية ..

منطقة كانت تحوى يوماً مبنى بالغ الأهمية والخطورة ..

مبنى المخبرات العلمية المصرية ..

\*\*\*

— نعم يا ( محمود ) .. لقد خسرناه .. خسرنا  
( رمزى ) .

أغرررررقت عينا ( محمود ) بالدموع ، وهو يتف فى  
ارتياح :

— خسرناه !!

ثم استطرد فى ألم ومرارة :

— زناه !! آفة لعنة أحاقت بنا ١٩

هتف ( نور ) ، وهو يتطلق بالسيارة نحو مبنى إدارة  
المخبرات العلمية :

— لعنة الطمع يا ( محمود ) .. الطمع الذى يدفع  
المخلوقات إلى استعمار بعضها البعض ، والحصول على ما يملكه  
غيرها .. لقد ثبت أنها ليست صفة بشرية ، كما كنا نظن .. إنها  
صفة فضائية ، تملكها كل المخلوقات ، التى تُطلق عليها اسم  
المخلوقات العاقلة .. تصوّر .. المخلوقات العاقلة وحدها تملك  
الصفة الاستعمارية .

صاحت ( سلوى ) فى مرارة :

— ( نور ) .. لست أحتمل المخاورات الفلسفية الآن .

قال فى أسف :

— يبدو أنك ستضطررين إلى احتياها يا ( سلوى ) ، فلم يُعَدِّ  
لدينا سواها .. لقد فقدنا فى الساعات الأولى للحرب كل

هتفت ( سلوى ) فى مرارة هائلة :

- يا إلهى !! لقد ذهب المبنى يا ( نور ) .

وغمغم ( محمود ) فى انهار :

- لقد قضوا على التحريات العلمية .

صاح ( نور ) فى حزم :

- ليس بعد .

ثم قفز خارج سيارته ، وهو يستطرد :

- الجهاز أقوى من أن يدمره هؤلاء الأوغاد .

واندفع نحو المبنى المتهدم ، وتبعه ( محمود ) و ( سلوى )

و ( نشوى ) ، وراح الجميع يخطون فوق الحطام فى حذر ،

و ( سلوى ) تغمغم فى مرارة :

- ربّاه !! لقد سحقوا المبنى كله يا ( نور ) .. لقد

سحقوه سحقًا .

أجابها فى حدة :

- المبنى العلوى فحسب .

- هتفت فى دهشة :

- ماذا تعنى ؟

قال فى توتر :

- أعنى أن ذلك المبنى ، الذى كنا نلتقى فيه ، عبارة عن

مبنى إدارى ، أمّا الأعمال السريّة الفعلية ، فكلها تدور تحت

الأرض ، على عمق مائتى متر ، فى المبنى السريّ .

وراح يتلّفت حوله فى انفعال ، مستطرذا :

- المهم أن نجد مدخله .

ثم أسرع نحو أحد الأجزاء ، هاتفاً :

- لقد كان هنا .

تعاون الجميع فى رفع الأنقاض فى سرعة وهمة ،

و ( نشوى ) تتساءل فى مرارة :

- أنت واللق من الموضوع يا أبى ؟

أجابها متوتراً :

- تمام الثقة .. فهنا كانت توجد حجرة خالية ، ينبعث

داخلها ضوء وردى خافت ، وأسفلها كان ذلك المصعد ،

أقصد المهيّط ، الذى يقود إلى الإدارة السريّة ، وحجرة القائد

الأعلى .

وفجأة ، دفعته قوة هائلة إلى الأمام ، ودوى من خلفه  
انفجار قوى ..

انفجار سيارة ( نور ) ..

\*\*\*

حدث كل شيء في سرعة مذهلة ..

ظهرت تلك المقاتلة الفضائية في السماء ، وانطلقت منها  
تلك الأشعة الأرجوانية ، وأصابت سيارة ( نور ) ..  
وانفجرت السيارة ..

وأطاحت بـ ( محمود ) ، وألقته وسط الحطام ..

ثم اختفت المقاتلة ، وهي تكمل طريقها ..

وطارت حقيبة ( محمود ) في الهواء ..

وقفز ( نور ) يلتقطها ..

كان يخشى أن يفقدها ، أو أن يتركها تسقط أرضاً ..

كان يخشى أن يفقد معها آخر أمل ..

والتقطها ..

التقطها وهبط على قدميه ، وهو يتف :

— أنت بخير يا ( محمود ) ؟

نهض ( محمود ) شاحباً ، وهو يغمغم :

— نعم .. لو أنك تقصد جسدياً ، فالجواب هو نعم ..

واصلوا عملهم في همة ونشاط ، حتى ظهرت أرضية  
الحجرة ، فهتفت ( سلوى ) :

— ها هي ذى .

صاح ( نور ) :

— هنا يوجد مدخل المهبط الخاص ، ولكنى لست أدرى

كيف يمكن خُتّه على الظهور ، دون إذن من القائد الأعلى ؟

قالت ( نشوى ) في حماس :

— اترك لي هذه المهمة يا أبى .

انحنى تفحص الأرضية في توثر ، ثم لم تلبث أن قالت

لـ ( محمود ) :

— هل لك أن تعبرني حقيبتك ؟

تمم في دهشة :

— حقيبتى ؟!

ثم عاد يتف :

— أه !! حقيبتى .. سأحضرها على الفور .

أسرع إلى السيارة ، وانزع منها الحقيبة ، ثم اندفع عائداً إلى

حيث وقف رفاقه ، و .....

هتفت ( نشوى ) :

— فلنبدأ عملنا إذن

واختطفت الحقيبة من يد والدها ، وهى تستطرد فى  
انفعال :

— مادام المهبط السرى هو أملنا الوحيد والأخير .

راحت تكشف ماتبقى من أرضية الحجر ، وتفتح حقيبة  
( محمود ) ، وهى تقول :

— لا ريب أنه يُفتح بواسطة شفرة سرّية خاصّة ، بالغة  
التعقيد ؛ لذا فهى تحتاج إلى برنامج كمبيوتر شديد التعقيد مثلها .  
أسرعت أصابعها تتقافز فوق أزرار الكمبيوتر ، وتنقل  
فوقها فى هفّة ، وهى تتابع :

— لقد وضعت برنامجاً خاصاً ، للبحث عن الشفرات  
السريّة المعقّدة ، بسرعة فائقة ، تبلغ عشرة أضعاف السّرعّة  
الطبيعية ، وكنت أنوى التّقدّم به ؛ لنيل درجة الماجستير فى برمجة  
الكمبيوتر .

تتم ( نور ) فى حماس :

— رائع .

ثم أردف فى انفعال :



وفجأة ، دفعته قوّة هائلة إلى الأمام ، ودوى من  
خلفه انفجار قوى .. انفجار سيارة ( نور )

— لو أنك نجحت في دفع ذلك المهبط إلى العمل ، فستالين  
ما هو أفضل من درجة الماجستير ..

وصمت لحظة ، ثم أردف في حزم :

— ستالين الحياة .

انتهت أصابعها من ضغط الأزرار ، وهتفت :

— ما هو ذا .

حدق الجميع في شاشة الكمبيوتر ، التي راحت ترسم عددا  
غير محدود من الأرقام والرموز ، في سرعة خرافية ، وترصنها  
جنبًا إلى جنب ، مع تبادل مواضعها وأشكالها ، و .....

وتعلقت عيون الجميع بالشاشة ، التي تراقصت طويلًا ،  
ثم استقرت فوقها مجموعة من الأرقام والرموز ، في ترتيب شديد  
التعقيد ، وهتفت ( نشوى ) في انفعال :

— لقد نجحنا .

ارتفع إثر كلمتها صوت تكأة خافتة ، ثم بدأ جزء مستدير  
من الأرض في الهبوط ، فصاح ( نور ) :

— هيا .. سيهبط بنا أو دوننا .

قفز الجميع إلى الدائرة الهابطة ، وتلاصقوا وهم يهبطون  
داخل أسطوانة شفافة ، يغمرها ضوء بنفسجي هادئ ،  
وغمغمت ( نشوى ) :

— أكنت تعبر ذلك الطريق ذومًا يا أنى ؟

تتم في لحفوت :

— ولم يتوقف عن إبهاري لحظة واحدة يا بنيتي .

واصلوا هبوطهم في صمت ، بعد هذه العبارة ، حتى  
استقرت بهم الأسطوانة الشفافة أرضًا ، على عمق مائتي متر  
من سطح الأرض ، فأسرعوا يغادرونها ، و ( نور ) يهتف :

— من هنا .

أسرع الجميع يعدون غير ممر طويل ، و ( سلوى ) تهتف :

— ( نور ) .. أينذوا المكان عادةً خاليًا هكذا !؟

أجابها في توثر :

— لا .. وهذا ما يقلقني .

هتف ( محمود ) في هلع :

— يقلقلك !؟ .. فقط !؟

صاح ( نور ) :

— فلنؤجل هذا لما نغد .. لقد بلغنا حجرة القائد الأعلى .

هتفت ( نشوى ) في انبهار :

— شخصيًا !؟

توقف ( نور ) أمام الباب حائرًا ، وهتف في توثر :

— يبدو أننا سنحتاج إلى برنامج مرّة أخرى يا عزيزي  
( نشوى ) .

قال ( محمود ) في انفعال :  
— ها هي ذى الحقية ..

التقطت منه ( نشوى ) الحقية ، وهي تقول في انفعال :  
— فليكن ، وأنعمم ألا تكون شفرة باب حجرة القائد  
الأعلى من نوع شديد التعقيد ، أو .....

قبل أن تم عبارتها ، انفتح الباب في هدوء ، فهتف  
( نور ) :

— يا إلهي .. إنه هنا .

وفي لهفة ، تطلّع غير فتحة الباب إلى القائد الأعلى ، وإلى  
الدكتور ( عبد الله ) ، قبل أن يغمغم الأول في ارتياح :

( نور ) ! .. كنت أنتظرك أيها الرائد .

رفع ( نور ) يده بالتحية العسكرية ، وهو يقول في حزم :  
— الرائد ( نور الدين ) في خدمتك يا سيدي .

ألقى القائد الأعلى نظرة سريعة على زوجة ( نور ) وابنته  
وصديقه ، ثم لوح بكفه ، قائلاً :

— دعك من هذا يا ( نور ) .. لقد خسرتنا معركة هذه  
المرّة ، ولم نعد هناك فائدة من الالتزام بالرسميات .

هتف ( نور ) في حزم :

— إننا لم نخسر معركة بعد يا سيدي .

أجابته الرجل في مرارة .

— بل خسرتناها يا ( نور ) .. العالم كله خسرها .. هؤلاء

الغزاة أقوى ألف مرّة من كل ما بلغه خيالنا ، في أشع كوايسنا  
وتصوّراتنا الانهزامية يا ( نور ) .. لقد انقضوا علينا في عنف

يفوق الوصف ، وقتلونا بأشع الصّور .. إنهم يحطّمون  
ويدمّرون كل ما له صلة بمحضارتنا وتاريخنا .. إنهم .....

قاطعته الدكتور ( عبد الله ) في هلع :

— باختصار يا ( نور ) .. إنهم يحطّمون آدميتنا .

تمتت ( سلوى ) في لوعة :

— آدميتنا؟! .. يا إلهي !

لوح الدكتور ( عبد الله ) بذراعه ، هاتفاً :

— إنك لن تصوّر ما فعلوه .. لقد .....

قاطعته فجأةً أزيز مخيف ، فامتدح وجهه ، وهتف في ارتياح :  
— يا إلهي !! .. المفاعلات الذريّة .

اتسعت عيون الجميع في رُعب ، وهتف القائد الأعلى ،  
وهو يضغط أحد الأزرار فوق مكتبه :



— رَبَّاهُ !! هَذَا مَا عَشِيته .

تَمَمَ ( نور ) في مِرارة :

— وَأنا أَيْضاً .

وفي هدوء ، أَضَيْتُ شاشة إلى يسار القائد الأعلى ،  
وظهرت فوقها صورة لأحد المفاعلات الذرية المصرية ، وفوقها  
تُحَلَّقُ تلك المقاتلات الفضائية ، وهتفت ( سلوى ) في دهشة :  
— عجباً !! .. كَتَّ أَظُنُّ أَنَّهُم قَدْ حَطَمُوا كُلَّ وسائل

البث .

أجابها القائد الأعلى في توتر :

— إنه راصد خاص مباشر .

عادت تغمغم :

— عجباً !!

وقال الدكتور ( عبد الله ) في توتر بالغ ، وهو يشير إلى

شاشة الراصد :

— هذا الذي ترونه هو مفاعل الواحات البحرية النووي ،

أضخم مفاعلاتنا النووية على الإطلاق ، وها هي ذى تلك

المقاتلات الفضائية تحوم حوله ، ومن الواضح أنها ستهاجمه .

هتفت ( نشوى ) في رُغْبٍ :

— يا إلهي !! .. الإشعاعات الذرية التي مستجم عن

تفجيرها ، ستلوث ثلث ( مصر ) تقريباً .

غمغم ( محمود ) في ألم :

— لو حسبنا ذلك ، بضرب نسبة التلوث في عدد

المفاعلات الذرية ، فسجد أن الأرض كلها ستلوث

بالإشعاعات الذرية إلى الأبد .

تراجعت ( سلوى ) في رُغْبٍ ، وهي تغمغم :

— يا إلهي !! .. مستحيل !

صاح ( نور ) ، وهو يشير إلى الشاشة :

— ولكنهم لا يهجمون .. إنهم يحومون فحسب ، و .....

ظهرت بغتة في طرف الشاشة دائرة أسطوانية ضخمة ،

تسبح في الفضاء ، متجهة نحو مجموعة المقاتلات ، فبتر ( نور )

عبارته ، مغمغماً في خيرة :

— ما هذا ؟

تعم الدكتور ( عبد الله ) في دهشة :

— لست أدري .. إنه جسم لامع ، أشبه بأسطوانة

موسيقية ، أو .....

## ٨ - الانهيار ..

توقف ذلك التيزك المائل ، خارج المجال الجوي الأرضي  
ساکنا ، هادئاً ، بعد أن دمر كل أقمار الليزر ، التي تحيط  
بالأرض ، دون تمييز دولي أو عصري ، وفي هدوء ، راحت  
قشرته الخارجية ، الشبيهة بالثيزك ، تذوب وتلاشي ، لتبدو  
من أسفلها هيئة الحقيقية ..

لقد كان سفينة فضاء ..

سفينة هائلة ..

سفينة من معدن مجهول ، وتصميم مخيف ..

كانت سفينة القيادة ..

قيادة الفزو ..

ومن داخلها ، كانت تكتظ بأجهزة المراقبة والمتابعة ، التي  
ترصد وتنقل كل ما يدور ، مما يلتقطه آلات التصوير ، الملحقة  
بالمقاتلات الفضائية ، في كل أنحاء العالم ..

وكانت هناك قاعة واحدة ، تحلّو من كل الأجهزة ، فيما  
عدا جهاز نقل الأوامر ..

تر عبارته ، عندما استقرت تلك الأسطوانة فوق المفاعل  
النووي تماماً ، وهتف في دُعر :

— يا إلهي !! .. إنهم سي .....

قبل أن يتم عبارته ، كانت الأسطوانة اللامعة قد أطلقت  
أشعتها الأرجوانية نحو المفاعل ، و .....

وانفجر مفاعل الواحات البحرية النووي ..

\*\*\*





وكانت هناك قاعدة واحدة ، تخلو من كل الأجهزة ، فيما  
 عدا جهاز نقل الأوامر .. وكانت قاعدة الإمبراطور ..

وكانت قاعة الإمبراطور ..  
 إمبراطور ( جلوريال ) .. كوكب الغزاة ..  
 و ( جلوريال ) هذا كوكب مشابه للأرض ، في مناخه ،  
 وغلافه الجوي ، ولكنه يسبقه في نهج التطور ، ويختلف عنه في  
 حجم سكانه ..  
 فسكان ( جلوريال ) عمالقة لا يقل طول الواحد منهم عن  
 المترين ، وهم قوم شداد غلاظ قساة ، لم يتوقفوا منذ قرنين من  
 الزمان عن القتال والغزو ..  
 الكوكب الوحيد الذي قهرهم ، كان كوكب  
 ( أرغوران ) ، الذي ساد الكون بعض الوقت ، ثم فكّر في غزو  
 الأرض ، وعندما أرسل قائده لتفقد أحوالها ، أسر ( نور )  
 ورفاقه ، وعاد بهم إلى كوكبه ، فهزموه هناك ،  
 وانتصروا (\*) ..

منذ ذلك الحين ، خلا الفضاء فخاري ( جلوريال ) ،  
 فانقضوا على ( أرغوران ) ، بعد أن غادره ( نور ) ،  
 واحتلوه ، وحصلوا منه على كل الوثائق الخاصة بالأرض ،  
 وعكفوا على دراستها ، ثم أعدوا حملة الغزو وخطته ..

(\*) راجع قصتي ( معركة الكواكب ) ، و ( جميع أرغوران ) ..  
 المغامرتين رقم ( ٥٨ ) ، و ( ٥٩ ) ..

وانطلقوا نحو الأرض ..

ومن سفينة القيادة الإمبراطورية ، جلس إمبراطور ( جلوريال ) يراقب ما يحدث بعين الرضا ، وهو يغمغم بلغة عجيبة ، لا نظير لها قط على كوكب الأرض :

— رائع .. إننا نتصر على طول الخط .

اغنى مستشاره ( جلاكس ) ، وقال في احترام :

— لقد أخبرت سموكم من قبل ، أن الأرضيين أضعف من

أن يجابهوا قواتنا يا مولاي .

هزَّ الإمبراطور ( آغرو ) رأسه موافقًا ، وهو يقول :

— هذا واضح يا مستشاري الأكبر .. صحيح أنهم يشبهوننا

كثيرًا ، فيما عدا وجود دائرة عجيبة وسط عيونهم ، يحيط بها غلاف أبيض من الناحيتين ، بعكس عيوننا الحمراء ، المكوَّنة من قطعة واحدة ، وبشرتهم الوردية والسمرء والسوداء ،

التي تختلف حتمًا عن بشرتنا الخضراء الجميلة ، وحجمهم الضئيل ، الذي لا يتجاوز في المتوسط ما يقل عن أقصر رجالنا بعشرين سنتيمتراً على الأقل ، إلا أنهم يصابون بالرَّغب في

سهولة ، فقد ولدت مقاتلاتنا الهلَّع في قلوبهم على الفور .

غمغم ( جلاكس ) محذراً :

— لا تجعل هذا يمددك باسم الإمبراطور ، فرعبهم هذا

يعود إلى عامل المفاجأة ، وإلى غرورهم السابق بقوتهم ،

وتصوُّرهم أنهم أقوى مخلوقات الكون ، مما أصابهم بشبه انبهار ،

حينما تبين لهم في وضوح ، أنهم ليسو كذلك ، ولكنهم ما إن

يتجاوزوا تلك المرحلة ، حتى تجدهم أمامك مقاتلين أشداء ،

لا يشقُّ لهم غبار .

ابتسم الإمبراطور في سُخرية ، وهو يقول :

— ومن سيمنحهم الفرصة لذلك ؟

ومال إلى الأمام ، فوق عرشه البلوري ، مستطردًا :

— لقد سيطرنا على الكوكب سيطرة تامة ، وأمرت منذ

لحظات بإطلاق أقمارنا الصناعية حوله ، بحيث تضمن السيطرة

الدائمة على سكانه أيضًا .

وابتسم في سُخرية ، مردفًا :

— أعنى من سيبقى منهم .

ابتسم ( جلاكس ) ابتسامة هادئة ، وقال :

— أظن مولاي ، أن هذا سيفوق أهل الأرض عن

المقاومة ؟

هزَّ الإمبراطور ( آغرو ) رأسه نفيًا ، وقال :

— كلاً .. ولكنه سيجعلها أكثر صعوبة .

وتهدد وهو يعتدل ، ويداعب ذقنه ، مردفاً :

— لقد عكفت لأسبوع كامل على دراسة تلك الوثائق والأفلام التسجيلية عن الأرض ، والتي وجدناها في ( أرغوران ) ، ودرست أسباب فشل كوكب ( أرغوران ) في هزيمة أهل هذا الكوكب ، وبعدها توصلت إلى حقيقة هامة ، هي مفتاح النصر .

سأله الحكيم ( جلاكس ) في هدوء :

— ما تلك الحقيقة يا صاحب السمو الإمبراطور ؟

لوح الإمبراطور بكفه ، التي تحمل ما يشبه الزعانف المطاوية بين الأصابع ، وقال في ترفع إمبراطوري :

— الحضارة ..

لم يفهم الحكيم ما يعنيه إمبراطوره ، فغمغم مستهتماً :

— ماذا يا مولاي ؟!

عاد الإمبراطور بلوح بكفه في عظمة ، وهو يقول :

— الحضارة هي التي تدفع أصحابها إلى القراءة .. وأهل

الأرض يملكون الكثير منها ، وخاصة في الدول ذات التاريخ ..

لست أقصد بالحضارة تلك التقنية التكنولوجية ، وإنما أقصد

حضارة العقول : الفنون ، والآداب ، والتاريخ .. الحضارة

الراقية ، التي تصنع منهم قوماً مقاتلين .

وانقلبت سحته بفتنة ، وومضت عينه الحمراء ببريق

دموي ، وهو يستطرد :

— سأسحق هذه الحضارة .

تراجع الحكيم المستشار في حركة حادة ، وكأنما أفرعه ذلك

الأسلوب ، وغمغم في مزيج من الدهشة والتوتر :

— تسحقها ؟!

ضرب الإمبراطور مسند عرشه بقبضته ، وهو يهتف :

— نعم .. أسحقها .. لقد دمّرت كل ما يحويه كوكبهم من

مظاهر الحضارة : المتاحف .. والمكتبات العامة ، والآثار ،

وكل شيء .

عقد المستشار حاجبيه الكثين ، وهو يقول :

— عفواً يا مولاي ، ولكن هذا لا يمحو الحضارة ،

فالحضارة ليست في المباني والمقتنيات .. إنها في العقول

والنفوس .

هتف الإمبراطور في غضب :

— سأحوها منها أيضاً .

سأله المستشار في لهجة رجل نفذ صبره :

— كيف ؟

تراجع الإمبراطور في عرشه ، وأمسك ذقنه بسنائه  
وابهامه ، وابتسم ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

— اطمئن يا مستشاري العجوز .. إن لدى حطة .. لحطة  
لا تقبل الفشل .

\*\*\*

انفجر مفاعل الواحات البحرية ..

انفجر المفاعل النووي الضخم ..

وصرخت ( نشوى ) في هلع ..

وشهقت ( سلوى ) ..

وتراجع ( محمود ) ..

وعقد ( نور ) حاجبيه في شدة ..

وهتف الدكتور ( عبد الله ) :

— الزحمة يا إلهي !

أما القائد الأعلى ، فقد اتسعت عيناه في قوة ، دون أن ينبس

بنت شفة ..

كان الستة يتوقعون حدوث انفجار نووي رهيب ..

أجابته ( نور ) في حدة :

— إنهم يحتاجون إليه لهدف ما حتمًا .

تردّد الدكتور ( عبد الله ) ، وقال :

— ماذا لو أنهم .....

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع صفيح قوي ، داخل حجرة القائد

الأعلى ، وراحت كل المصاييح تضيء وتطفئ في سرعة ،

فشخب وجه القائد الأعلى ، وهتف :

— يا إلهي !! لقد توصلوا إلينا .

ثم استدار إلى الباقيين ، مستطرذا في بأس :

— إنهم يقتحمون المكان .. يقتحمون آخر أمل لكوكب

الأرض

\*\*\*



## ٩ - الأمل ..

عندما أيقنت سفينة القيادة الإمبراطورية من النصر ،  
دارت حول نفسها في بقاء ومهابة ، ثم راحت تهبط إلى  
الأرض ..

وبحسبة بسيطة ، أجرتها أجهزة الكمبيوتر المتطورة ، التي  
تمت تغذيتها بكل المعلومات عن الأرض ، اختارت سفينة  
القيادة صحراء ( مصر ) الغربية مستقرًا لها ..

ومن العجيب أنها قد اختارت نفس البقعة ، التي كان يحتلها  
من قبل ، مركز الاستعمار الفضائي المصري ..  
ولكن المركز لم يكن هناك ..

كانت الأشعة الأرجوانية قد سحقته تمامًا ، وبات من  
المستحيل تمييز بقاياها ، وسط رمال الصحراء ، الممتدة  
بلانهاية ..

وفي وقار ورهبة ، هبطت المركبة الفضائية ، واستقرت ..  
وداخلها كان الحكيم ( جلاكس ) يقول :

— لماذا هذه البقعة بالذات يا سمو الإمبراطور ؟

كانوا ينتظرون رؤية تلك السحابة الهائلة ، الشبيهة بفطر  
عش الغراب ، التي تميز الانفجارات النووية ..  
ولكن شيئًا من هذا لم يحدث ..

لقد بدأ الانفجار ، ثم تبدد في سرعة ، وراحت الأسطوانة  
الطائرة تتألق في قوة ، كما لو أنها تمتص الإشعاعات الذرية في  
شراهة مخيفة ..

وخبا الانفجار فور حدوثه ..

وامتنعت الأسطوانة طاقة هائلة ..

طاقة تكفي لزحزحة كوكب الأرض كله من موضعه ..

وابتعدت الأسطوانة ..

وهتف القائد الأعلى :

— ماذا يفعلون !!

أجابهُ الذكور ( عبد الله ) في توثر :

— إنهم ينسفون كل المفاعلات النووية ، ويختزنون الطاقة

الناجئة عن ذلك في تلك الأسطوانات ، هدف مجهول .

تمم ( محمود ) في شحوب :

— لا ريب أنه هدف هائل ، فيحصلون بأسلوبهم هذا

على قدر لا يمكن تخيله من الطاقة .

ابنهم الإمبراطور ابتسام صغراء ، وقال :

— سل الكمبيوتر أيها الحكيم ، فهو الذي انتقاها لا أنا .

قال الحكيم في هدوء :

— مولاي يعلم ما يخفى على شخصي المتواضع .

ابنهم الإمبراطور في زهو ، وقال :

— إنها بقعة متوسط العالم كله ، ومنها يمكن إصدار الأوامر

للجميع ، ثم إنه هنا بالذات ، نشأت أعظم حضارات تاريخهم ،

وأقصد بذلك حضارة كوكبهم ، لا تلك الحضارات الواردة ،

مثل ( أتلاتس ) ..

وصمت لحظة ، ثم استطرد في حزم :

— ثم إنه هنا يوجد الشخص الذي ستبحث عنه قواتنا ،

والذي لا بد أن يم القضاء عليه أولاً ، ليستقر بنا المقام هنا إلى

الأبد .

قال الحكيم في دهشة :

— شخص ..؟ شخص واحد يا مولاي ..؟ عجباً !! ..

أينشى مولاي ، بكل قوته ومطوته ، وفي ذروة انتصاره ، من

شخص واحد ..؟ أى شخص هذا يا سمو الإمبراطور ..؟

تطلع إليه الإمبراطور لحظة ، ثم هز رأسه ، مغممًا :

— بالسخافة المستشارين !!

اتسعت عينا الحكيم في دهشة واستكار لهذا القول ،

وتراجع على نحو اعتراض ، إلا أن الإمبراطور اعتدل فوق

عرشه البلوري ، ومال نحوه ، مستطردًا في صرامة :

— أتعلم من هذا الشخص أيها الحكيم ( جلاكس ) ..؟ إنه

ذلك الشاب ، الذي هزم عمالقة ( أرغوران ) في كوكبهم ..

إنه الأجنبي الوحيد ، الذي حمل تاريخهم اسمه بمحروف كبيرة ..

إنه ( نور ) .. الرائد ( نور الدين ) ..

اندفع الحكيم يقول :

— مهما يكن يا مولاي .. فإنه مجرد أرضي .. أليس من

المحتمل أن يكون قد لقي حتفه ، مع الهجوم الأول ؟

ضرب الإمبراطور مسند عرشه البلوري في حنق ، وهو

يهتف :

— كلاً .. ليس محتملاً حتى أنه قد فعل .

هتف الحكيم في عناد :

— من يمكنه أن يجزم ؟

صاح الإمبراطور في غضب :

— أنا .





دق مسند عرشه بقبضته في عنف رهيب ، وهو يستطرد :  
 — سأقتله أنا .. أنا بنفسى .

ران الصمت لحظة ، حدق خلالها الحكيم في وجه  
 الإمبراطور في خيرة ، قبل أن يشير الإمبراطور إلى صدره في  
 جدّة ، مستطردًا :

— عندما يموت ، سأحضر أنا بذلك .

تمم الحكيم في مزيج من الدهشة والخيرة :

— تشعّر !؟

ثم بدا له بغتة ، أن الأمر يحمل حتمًا ، ما هو أكثر بكثير من  
 مجرد القضاء على أرضى عادى ، وأن الإمبراطور لن يفتح عن  
 دخيلة نفسه أبدًا ، فأثر الصمت ، ووقف في مكانه ساكنًا بضع  
 لحظات ، قبل أن يردف الإمبراطور في صوت مُخنق :

— لقد أمرت قواتنا باقتحام مقر إدارة مخابراته منذ قليل ،  
 ولا ريب أنهم قد فعلوا الآن ، ولكنهم لن يقتلوه .. لقد أمرتهم  
 بإحضاره حيًّا .

ولى غضب هائل ، لم يدبر له الحكيم سببًا ، دق مسند عرشه  
 بقبضته في عنف رهيب ، وهو يستطرد :

— سأقتله أنا .. أنا بنفسى .

وهنا أدرك الحكيم أن إمبراطوره قد غزا الأرض ، قاصداً  
 هذا الأرضى بالذات ..

هذا الأرضى الذى يحمل اسمًا مرادفًا للضياء ..  
اسم ( نور ) ..

\*\*\*

شُحِبَتْ وجوه الجميع ، عندما سمعوا القائد الأعلى يقول  
إن المبني السرى قد تم اقتحامه بواسطة الغزاة وانجهدت  
أبصارهم إلى شاشة الراصد ، وهو يستطرد فى انفعال :  
— لقد فعلوا حتمًا ..

نقلت إليهم شاشة الراصد الداخلى — ولأوّل مرة — صورة  
الغزاة ..

وكان ذلك مخيفًا ..

لقد رأوا عشرة من العمالق ، يبلغ طول أقصرهم المترين  
على الأقل ، خضر الوجوه ، حمر العيون بلا قرنية ، يرتدون  
لبانًا زرقاء لامعة ، وخوذات شفافة ، نَقَمْتُمْ عند موضع  
الأذنين ، وفيما عدا ذلك ، كانت ملامحهم تشبه البشر ، من  
حيث التكوين التشريحي ، وأسلوب الحركة ، والملاح ..  
وكان كل منهم يحمل بندقية ، تشبه إلى حد كبير بندق الليزر  
الأرضية ..

وكانوا يهبطون غير المهبط السرى ، واحدًا بعد الآخر ..

وصاحت ( نسوى ) فى ارتياح :

— يا إلهى !!! كيف فعلوا ذلك !!! كيف نجحوا فى  
تشغيل المهبط !!!

هتف بها القائد الأعلى :

— لم يعد ذلك يهم يا مبتى .. لقد فعلوها . وهم الآن فى  
طريقهم إلى هنا .

انتزع ( نور ) مسدسه الليزرى من غمده ، وهو يهتف فى  
صلاة :

— سنثبت لهم أن حياتنا باهظة الثمن .

صاح القائد الأعلى :

— كلاً يا ( نور ) .. كلاً يا ولدى .. لن أسمح لك  
بإخطارة .

هتف ( نور ) مستكراً ..

— ولكن يا سيدى ..

قاطعته القائد الأعلى فى حزم :

— ليس هذا من شأنك .. إننى أحتاج إليك لمهمة أكثر  
خطورة .. بل العالم كله يحتاج إليك من أجلها .

كانت معانى الكلمات أضخم بكثير ، مما يمكن أن يتصوره

أن ينتظره ( نور ) ، في مثل هذه الظروف ؛ لذا فقد هتف في  
انفعال :

— حياتي في خدمة الوطن ياسيدي .

أسرع القائد الأعلى بضغط ذرًا في مكتبه ، فانفتحت فجوة  
سرّيّة ، اختطف من داخلها حقيبة صغيرة مرّبعة ، ناولها إلى  
( نور ) ، وهو يقول :

— خذها يا ولدي .. احرص عليها حرصك على حياتك ..

بل أكثر من ذلك .

سأله ( نور ) في دهشة :

— ما هذه ياسيدي ؟

تهنّد القائد الأعلى ، وهو يقول :

— منذ سنوات ، يضع لنا كمبيوتر خاص عدة تصوّرات ،

لما يمكن أن يحدث على الأرض ، إذا ما نجح بعض الغزاة في

احتلال الأرض ، وفي إحدى الافتراضات الكمبيوتر الوهمية ،

أشار إلى احتمال أن يلجأ المختلون إلى تدمير كل حضارتنا

وتاريخنا ؛ لذا فقد عمدنا إلى تدوين كل تاريخ العالم ، وفنونه ،

وحضارته ، وعلومه ، على أسطوانات ميكروكمبيوتر فائقة

الحساسية ، ستجد فيها ما يمكنه أن يعيد إلى الأرض حضارتها

كاملة .. حتى لوحات عظماء الفن ، والثبوت الموسيقية لأعظم  
عابرة التاريخ ، إلى جوار التصميمات الكاملة لكل اختراعات  
والمكتشفات .. وهذه الحقيبة هي أمل الأرض الوحيد ، في أن  
تستعيد حضارتها يوماً ، وإلا فسترزح حتى الأزل ، تحت نير  
الاحتلال .

تناول ( نور ) الحقيبة بأصابع مرتجفة ، وهو يفهم :

— إنها مسئولية رهيبية ياسيدي ، وهؤلاء الغزاة يقتحمون

المكان ، و .. قاطعه القائد الأعلى :

— ذكك منهم .. سأبقى هنا للتصدّي لهم ، أما أنت

ورفاقك ، فستغادرون المكان من هنا .

قالها وضغط زرًا آخر ، فانزاحت خريطة العالم الضخمة

من أمامه ، لتكشف عن ممر طويل ، تمتد إلى ما لا نهاية ، وهو

يقول :

— سيقودكم هذا الممر السريّ إلى وسط المدينة ، ويمكنكم

البقاء فيه لمُدّة عام كامل لو أردتم .

قال ( نور ) في حزم :

— إذن يمكننا أن نذهب كلنا .

هزّ القائد الأعلى رأسه نفيًا ، وقال :

— كلاً يا ولدى ، لا بد أن يبقى أحدها هنا ، ليدمر  
الأزرار ، بعد رحيلكم .

هتف ( نور ) :

— ألا يمكن أن .....

قاطعه دوى الأشعة الأرجوانية لنادق الغزاة ، وهي ترتطم  
بباب مكتب القائد الأعلى ، الذى هتف :

— هيا .. اذهبوا .. لا وقت للجدل .

ثم تثبّت بذراع ( نور ) ، مستطرذا :

— لا تردّد .. إنه مصير الأرض كلها .. هيا .

ولم يتردّد ( نور ) ..

اندفع مع رفاقه إلى الممر السرى ؛ وراحوا يعدّون فيه  
بسرعة ، وهتف القائد الأعلى فى الدكتور ( عبد الله ) :

— اذهب يا ( عبد الله ) .. اذهب بسرعة .

أخرج الدكتور ( عبد الله ) من جيب معطفه مسدّساً  
ليزرياً ، وهو يقول فى حزم :

— سأبقى .

ثم أطلق أشعة مسدّسه على الأزرار ، الذى انفجرت على  
الفور ، وأسرع باب الممر السرى يُغلق ، على حين هتف القائد  
الأعلى :

— اذهب قبل أن تضع الفرصة .

صاح الدكتور ( عبد الله ) فى حزم :

— لن أذهب .

ثم أضاف . وهو يحاول عبثاً أن يتسم :

— ثم إن الموت أفضل كثيراً ، من البقاء فى ظل الاحتلال .

لم يكذب يتمّ عبارته ، حتى التزم العمالققة باب الحجرة ،  
وانطلقت خيوط الأشعة فى المكان ..

\*\*\*



توقّف أحد رجال الإمبراطور ( آغرو ) عند مدخل قاعته الإمبراطورية ، ورفع قبضته المضمومة إلى أعلى ، وهو يقول :  
- فليحي الإمبراطور العظيم .

أشار إليه الإمبراطور بكفّه ، لسمح له بالدخول ، فاعتدل الرجل في ثبات ، وخلع خوذته الشفافة ، وحملها تحت إبطه ، وهو يعبر القاعة في خطوات قوية ، حتى بلغ موضع إمبراطوره ، فانحنى أمامه في احترام ، حتى سمعه يقول في برود :

- حسنًا .. ماذا هناك ؟

اعتدل الرجل ، وأجاب في قوة :

- تمت السيطرة على قارات الكوكب كلها يا مولاي ..

فلقد أعلنت القارة الشمالية الغربية ، التي يطلقون عليها اسم ( أمريكا الشمالية ) استسلامها ، بعد تدمير كل وسائلها القتالية ، وامتصاص طاقة صواريخها ذات الرؤوس النووية تمامًا ، وانفجار مدافعها الليزيرية ، وكذلك فعلت القارة

الجنوبية ، التي تحمل نفس الاسم ، أما عن ( آسيا ) ، فلقد استسلمت أعظم قواها ، تلك المعروفة باسم ( الاتحاد السوفيتي ) ، بعد أن اضطررنا للقتل وتدمير وسحق ربع سكانها تقريبًا ، وبعدها استسلمت ( أوروبا ) دون قيد أو شرط ، وكذلك ( أستراليا ) ، أما ( إفريقيا ) ، وذلك الجزء المعروف باسم ( الشرق الأوسط ) ، فهم يواصلون العناد والتصدي .  
عقد الإمبراطور حاجبيه في غضب ، وهتف وهو يلوح بذراعه :

- واصلوا مهاجمتهم وتحطيمهم .. حطّموا وانسفوا كل آثارهم .. كل منازلهم .. أريد أن يستسلموا حتمًا .

أجابه الرجل في حزم :

- سيفعلون يا مولاي .

ثم ظهر التردّد على وجهه لحظة ، فسأله الإمبراطور في عصبية :

- حسنًا .. ماذا هناك ؟

تردّد الرجل لحظة أخرى ، ثم أجاب :

- مولاي .. لقد أمرتنا بتدمير كل حضارتهم وآثارهم ، ولكن .....

هتف به الإمبراطور ساخطاً :

— ولكن ماذا ؟

حسم الرجل تردُّده ، وأجاب :

— هناك بناءان ، عجز رجالنا عن تدميرهما تماماً .

هتف الإمبراطور في خنق :

— ما هما ؟

أجاب الرجل :

— تلك الأهرامات الثلاثة في ( مصر ) .. إنها تمتص أشعتنا

الأرجوانية ، وتشتتها لسبب ما ، بحيث نعجز عن تدميرها تماماً .

هتف الإمبراطور في سُخْط :

— وماذا أيضاً ؟

ارتجف صوت الرجل ، وهو يقول :

— بناء صغير في ( السعودية ) يامولاي .. بناء يحيط به

ملايين البشر .

تراجع الإمبراطور ، وهو يغمغم في توثر :

— بناء صغير !؟

بدا صوت الرجل هلقاً ، وهو يقول :

— نعم يامولاي .. بناء في نقطة مركز كوكبهم تماماً ، ما إن

يقترب رجالنا منه ، حتى يزلزل الرُّعب كيابهم ، ويفقدون

السيطرة على مقاتلاتهم ، دون أن تلتقط أجهزة مركباتهم آية

مؤثرات خارجية غير مألوفة .

خفت صوت الإمبراطور ، حتى بات أشبه بالهمس ، وهو

يتمم :

— أى بناء هذا ؟

كان صوت الرجل يُوحى بأنه يُعالى رُعباً هائلاً ، وهو

يجيب :

— إنهم يطلقون عليه اسم ال .. ال ..

هتف به الإمبراطور :

— ال ( ماذا ) ؟

صاح الرجل في هَلَع :

— الكعبة يامولاي .. الكعبة .

سرت فُشغريزة مخيفة في جسد الإمبراطور ، وهو يرُدُّد في

هَلَع مماثل :

— الكعبة !؟

ثم أمسك مسندى عرشه البلورى في توثر هائل ، قبل أن

يهتف :

— حسنًا .. دغومها .. دغوا الأهرامات الثلاثة ، وهذه  
ال ... الكعبة .. دغومها .. لائمسومها .

بدا الارتفاع على وجه الرجل ، كأنما حمل ثقيل قد انزاح  
عن كاهله ، وغمغم :

— شكرًا يا مولاي .. أعني .. حسبًا تأمر يا سمو الإمبراطور .

زان عليهما الصمت لحظات ، قبل أن يقول الإمبراطور في  
عصية :

— وماذا عن ذلك الأرضي ؟

ارتجف الرجل في قوّة ، كما لو كان السؤال غير متوقّع قطعًا ،  
ثم هتف :

— لا ريب أنهم قد ظفروا به الآن باسم الإمبراطور ..

أعني أنه من المضمّن أنهم قد فعلوا ، و .....

قاطع الإمبراطور في غضب هادر :

— وماذا ؟

ارتجف الرجل ، وتراجع وهو يتمم :

— لست أدري يا مولاي .. إنني أنتظر تقريرهم .

هتف الإمبراطور محتدًا :

— أريد هذا التقرير في خلال ساعة واحدة .

غمغم الرجل :

— كما تأمر يا مولاي .. كما تأمر .

ثم استدار ، وابتعد بأقصى ما تسمح له به ساقاه من

السرعة ، خشية أن يتورّط في غضب إمبراطوريّ جديد ، في

حين اتّقدت عين الإمبراطور لهبًا ، وهو يقول لنفسه في خنق :

— لا بدّ أن يذهب هذا الأرضي .

وضرب مسند مقعده بقبضته ، مستطرّدًا في غنّف :

— لا بدّ ..

\*\*\*

واصل فريق ( نور ) الصغير ، المكوّن من ( سلوى )

و ( نشوى ) و ( محمود ) ، وهو ، غدوّه غير الممر الطويل ،

وتصاعد صوت لهاث الأربعة ، في الممر الممتد ، على نحو يبدو

لانهائيًا ، حتى هتفت ( نشوى ) :

— لن أحتمل .. لم أعُدّ أحتمل .

هتف ( نور ) :

— قاومي .. من الضروريّ أن نبتعد بقدر الإمكان .

صاح ( محمود ) ، في صوت يشفّ عن التهاك :

— زوّيدك يا ( نور ) .. القافلة تسير بقدر احتمال  
أضعفها ..

قَدِّتِ العَبَّارَةَ سَاقِ ( نور ) بَغْتَةً ، فَتَوَقَّفِ عَنِ العَدْوِ ،  
مَغْمَغَمًا :

— صدقت .

تَوَقَّفِ الجَمِيعَ خَلْفَهُ ، وَتَعَالَى صَوْتُ لَهْلِهِمْ ، وَهَمَّ يَلْقَوْنَ  
أَجْسَادَهُمْ أَرْضًا ، وَهَضَّتْ ( سلوى ) :

— لو أنك لم تتوقف الآن ، لسقطت وحدى يا ( نور ) .  
وغمغمت ( نشوى ) فى إنهاك :

— هذا الممر أطول مما ينبغى .. إنه يبدو وكأنه لا نهاية له .  
تعم ( نور ) :

— هناك نهاية حتمًا .

وَرِاحٌ ( محمود ) يلهث فى شدة ، دون أن ينسب بنت شفة ،  
إلى أن أردف ( نور ) فى توأثر ، وهو يلقي بصره إلى أوّل الممر :

— يبدو أن هؤلاء الغزاة لم يكشفوا أمر الممر السرى ، وإلا  
لحقوا بنا على الفور .

قال ( محمود ) فى صوت اختلطت ارتجاجه بلهائه :

— هذا من حسن الحظ ، إننى أشعر برُغْبٍ هائل ، كلما  
تذكرت منظرهم الخيف .

وهضت ( سلوى ) :

— إنهم عمالقة .

قال ( نور ) فى جِدَّة :

— ضخامة الأجساد ليست مقياسًا للتفوق ، وإلا كان

الفيل ملك الغابة حتمًا .

اعتدلت ( سلوى ) ، وهى تقول :

— ولكنهم أقوى منا بالفعل يا ( نور ) .. ألم تر كيف هزموا

العالم كله فى أقل من يوم واحد ؟

أجابها فى ضيق :

— ربّما لأنهم باغتنا ، فلم نملك الوقت الكافى لتبيين نقاط

ضعفهم ، أو وسيلة مهاجمتهم .

هتف ( محمود ) :

— ربّما .

وهنا التفتت ( سلوى ) إلى ابنتها ، تسألها :

— هذا ليس مؤكدًا .. أليس كذلك يا ( نشوى ) ؟

ألقت سؤالها ، وهضت فى لوعة :

— ( نشوى ) .. أتبكين ؟

أجابتها ( نشوى ) فى صوت حزين ، تبدو الدموع واضحة

فى حروفه ونبراته :



— نعم يا أمي .. أبكى .

خرعت إليها في لوعة وأسى ، وضمتها إلى صدرها في حنان ،  
وهي تهتف :

— جفنى دموعك يا بنتى .. إنها أزمة طارئة بحقى ،

و .....

قاطعها ( نشوى ) في مرارة :

— لست أبكى ما يحدث يا أماه .. بل أبكى من ذهب .

تهتدت ( سلوى ) ، وهي تقول في حزن :

— أتقصدين ( رمزى ) ؟

أومأت ( نشوى ) برأسها إيجاباً ، فقال ( نور ) :

— كلنا نبكيه يا بنتى .. هو والدكتور ( حجازى ) ،

والدكتور ( عبد الله ) ، والقائد الأعلى .

هتفت في مرارة :

— أتعينى أن الغزاة قد قتلوا الآخرين بأبى ؟

أجابها في ألم :

— حتماً يا بنتى .. حتماً ..

وزفر في حرارة ، مستطرذا :

— إنه الغزو .. غزو اللعنات .

\*\*\*

انفتح باب القاعة الإمبراطورية ، في سفينة قيادة الغزو ،  
واندفع داخلها رجلان في سين الكهولة ، يبدو التهاك في  
وجوههما واضحاً ، ويبدو الإرهاق في قسماهما جلياً ،  
وخلفهما ستة من الغزاة ، رفع أكبرهم رتبة قبضته أمام وجهه ،  
وهو يقول :

— التحيات للإمبراطور العظيم .

أجاب الإمبراطور تحية قائد الجنود بإيماءة من يده ، وقال :

— من هذان الأرضيان ؟

أجابه قائد الجنود :

— إنهما القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ،

ورئيس قسم الأبحاث العلمية التابع لها ، فلقد هاجنا مقر

المخابرات السفلى ، كما أمرتنا ، ولكننا لم نجد الرائد المطلوب ،

وووجدنا هذين فقط ، ولقد قاومانا في شراسة ، وقتلا أربعة

منا ، قبل أن تنجح في أسرهما .

تطلع الإمبراطور إلى وجهى أسيريه ، وهو يقول :

— وهل كان ( نور ) هناك ؟

أجابه قائد الجنود :

— كلاً .. لم يكن هناك ، ولكنهما يعرفان موضعه حتماً .

كان الحديث يدور طيلة الوقت بلغة ( جلوريال ) ، لذا لم يفهم الدكتور ( عبد الله ) والقائد الأعلى حرفاً واحداً منه ، حتى التفت إليهما الإمبراطور ، وقال بلغة عربية سليمة ، وباللهجة المصرية :

— أين ( نور ) ؟!

تطلع الرجلان إليه في دهشة ، وهتف الدكتور ( عبد الله ) :

— ربّاه !! .. إنه يتحدث العربية !!

أجابه الإمبراطور في برود :

— أنا أختلف عن الجميع .. إننى أتحدّث بكل لغات الكون ، وهذا ما صنع منى إمبراطوراً .. أما الآخرون ، فهم يعجزون عن التحدّث بأية لغة ، فيما عدا لغة ( جلوريال ) ؛ لذا فهم يحتاجون إلى تلك الحوذات ، التى يضعونها على رؤوسهم ، لترجم لهم فورياً كل كلمة تنطقون بها بأهل الأرض .

أدار الدكتور ( عبد الله ) رأسه إلى الغزاة ، يتأمّل الحوذة الشفّافة فوق رؤوسهم ، مغمغماً في شغف :

— إذن فهذه هى قبة الترجمة ؟! .. رائع .. إنه جهاز جيّد ،



انفتح باب القاعة الإمبراطورية ، في سفينة قيادة الغزو ، واندفع داخلها رجلان في سِنِّ الكهولة ، يبدو التهاك في وجهيهما ..

ولكننا صنعنا مثله فيما مضى ، واستخدمته ( سلوى ) بنجاح ،  
في كوكب الأساطير ، (\*) و .....

قاطعته الإمبراطور في صوت غاضب هادر :  
— كفى .

ثم استطرد في غضب صارم :  
— أين ( نور ) ؟

سأله القائد الأعلى في برود :  
— من ( نور ) ؟

ابتسم الإمبراطور في سخرية ، وهو يقول :

— ألا تدري من هو ( نور ) ؟ .. حسنا .. سأخبرك أنا ..

إنه شاب من شباب اخبارات العلمية المصرية ، يحمل رتبة  
رائد ، والرمز الكودى ( م.م ) ، والرمز يعنى أنه ( مقاتل  
متميز ) ، ورقمه الشفرى ( ٣٣٠٠٧٠٦ ) ، ويمكن استخدام  
الكود ( م/٦ ) بدلاً منه ، وللمعلومات العاجلة ، وهو مؤهل  
للقيادة ، ويمتلك عقلية استنباطية نادرة .. أتعلم الآن من هو  
( نور ) ؟

تمم القائد الأعلى في صرامة :

(\*) راجع قصة ( الأسطورة ) .. العامرة رقم ( ٥٠ ) .

— لا توجد قوة في العالم ، يمكنها أن تجبرنى على البوح  
بمعلومة أرفض منحها .

قال الإمبراطور في غضب :  
— هكذا !؟

ثم التقط من ظهر مقعده قضيباً شفافاً ، صوبه نحو القائد  
الأعلى ، مستطرداً :  
— سنرى .

وفجأة ، انطلق من القضيب شعاع أرجوانى رفيع ، أصاب  
رأس القائد الأعلى ، فانفجرت حجمته على الفور ، وتناثرت  
أشلائها ، وقفزت الدماء إلى وجه الدكتور ( عبد الله ) ، الذى  
هتف في ارتباك ، وهو يرى قائده الأعلى يسقط جثة هامدة ،  
بلا رأس :

— أيها القتلة ، ماذا فعلتم به ؟

صاح به الإمبراطور في صرامة :  
— أتعب أن تلحق به ؟

صرخ الدكتور ( عبد الله ) في مرارة :

— اذهب إلى الجحيم أيها الوغد .. اذهب إلى الجحيم .

برقت عينا الإمبراطور بلهب أحمر دموى ، وهو يصرخ :

## ١١ - الاحتلال ..

تابع ( نور ) ورفاقه سيرهم ، غير الممر الطويل ، بعد أن حصلوا على قدر مناسب من الراحة ، وعادت ( نشوى ) تقول في توثر :

— أما من نهاية لذلك الممر !؟

غمغم ( نور ) في خفوت :

— لكل شيء نهاية .

وصمت لحظة ، ثم لم يلبث أن استطرد في صوت حازم مرتفع :

— كل شيء .

زفرت ( سلوى ) ، وهي تقول :

— حسناً .. ما نهاية هذا الممر ؟

برقت عيناه فجأة ، وهو يتف :

— هنا .

التفت الجميع إلى حيث يشير ، وهتفت ( نشوى ) في

لهفة :

— قل لي أيها الأَرْضِيّ الحَقِير .. أين الرائد ( نور ) ؟

هتف الدكتور ( عبد الله ) :

— أنت هو الحَقِير أيها الوغد .. أنت هو مَنْ يَقْتُلُ الغَزْلَ

بلا رحمة ، أو شفقة .

صاح به الإمبراطور في صرامة :

— نعم .. أنا هو .. هل ستخبرني أين الرائد ( نور ) أم لا ؟

صرخ الدكتور ( عبد الله ) :

— اذهب إلى الجحيم .

ارتسم كل الغضب على وجه الإمبراطور ، وقال :

— بل اذهب أنت إليه .

وارتفع القضيب الشفاف نحو رأس الدكتور ( عبد الله ) ،

فصرخ في رُغْب :

— كلاً .. كلاً .

ثم انهار ، مستطرداً :

— سأخبرك .. سأخبرك أين تجد الرائد ( نور ) .

\*\*\*

— يا إلهي !! .. هذا صحيح .

انبعثت في قلوب الجميع قوة مفاجئة ، عندما وقعت  
أبصارهم على قاعة جانيبة ضخمة ، كانت تحفيها عن أعينهم  
المناعة حادة ، وانطلق الجميع إلى القاعة ، حيث اتسعت  
عيونهم عن آخرها انبهارًا ودهشة ، وهتفت ( سلوى ) :

— مستحيل !!

أما ( محمود ) فصاح :

— إنه معمل تكنولوجيا متكامل ، ووحدة ميكروكمبيوتر  
رائعة ، مع جهاز مراقبة متطور .. إنه إنجاز حضاري رائع !!

وصاحت ( نشوى ) :

— بل هو معجزة !!

أما ( نور ) ، فقد دمت عيناه ، وهو يغمغم في لحفوت :  
— خطأ .. إنه عنوان الإرادة البشرية .

ثم اتجه نحو شاشات المراقبة ، وضغط أزرارها ، مستطرذا :  
— فلنحاول معرفة ما يحدث في الخارج أولاً .

لم يكذب ضغط الأزرار ، حتى أضيت أربع شاشات رصد  
متجاورة ، تنقل ما يدور في أربعة أماكن مختلفة من البلاد ..  
وكانت المشاهد كلها مؤلمة ..

جنود الغزاة يملتون الطرقات ..

الشعب كله مستسلم مدغور ضائع ..

كل صور الحضارة تهافت وهدمت ..

كل التاريخ انهار وانسحق ..

كان دمارًا شاملًا ..

دمارًا ماديًا ومعنويًا ..

وبكت ( سلوى ) ..

وشهقت ( نشوى ) في مرارة ..

وعض ( محمود ) شفتيه قهراً ..

أما ( نور ) ، فقد عقد حاجبيه ، وهو يقول في غضب :

— يا للأوغاد !! سيدفعون الثمن .. سيدفعونه حتمًا ..

تتمت ( سلوى ) في انبهار :

— أما زلت تمتلك بعض الأمل ؟

هتف في حزم :

— نعم .. وحتى آخر لحظة في حياتي .

غمغم ( محمود ) ، في صوت أقرب إلى البكاء :

— لافائدة يا ( نور ) .. لقد حطمونا .

صاح به ( نور ) غاضبًا :

— لا تنقل هذا .

ثم رفع تلك الحقيبة المربعة ، التي أعطاها إياها القائد الأعلى ،  
مستطرذا في حزم وصرامة :  
— مازلتنا نملك حضارتنا .

هتفت ( نشوى ) :  
— وحدنا يا أبى .. أما العالم كله ، فقد استسلم وانهار ..  
نعم .. لقد سقطت الأرض .. سقطت إلى الأبد ..  
\* \* \*

استمع الإمبراطور ( آغرو ) إلى الدكتور ( عبد الله ) في  
هدوء شديد ، حتى انتهى هذا الأخير من روايته ، ثم ران  
الصمت تماما ، داخل القاعة الإمبراطورية ، قبل أن يغمغم  
الإمبراطور :

— إذن فقد هرب ( نور ) .  
أوما الدكتور ( عبد الله ) برأسه ، قائلا :  
— نعم يا صاحب السموم الإمبراطورى .. لقد هرب ..  
أصابه الرُعب ، وهرب ، وأظنه قد اتجه إلى مقر إدارة المختبرات  
في ( الإسكندرية ) أو ( الأقصر ) ، و .. .  
قاطعته صيحة الإمبراطور الصارمة :  
— كاذب ..

حدق الدكتور ( عبد الله ) في وجه الإمبراطور في حُلَع ،  
فاستطرد هذا الأخير في لهجة أشد صرامة وغمضا :

— كاذب وحقير .

تمم ( عبد الله ) في اعتراض متخاذل :

— ولكن يا مولاي ..

قاطعه الإمبراطور مرة أخرى ، وهو يقول في غضب :

— أقول لك إنك كاذب وحقير .. اسمع يا رجل .. إن لدى

هنا ملفا كاملا من ذلك الرائد ( نور ) ، وهذا الملف يقول إنه

ليس عن النوع الذى يهرب أو يفر ، أمام أصعب المواقف ، مهما

بلغت دقتها وخطورتها ، وهذا يعنى أنك كاذب .

غمغم الدكتور ( عبد الله ) :

— إننى أقول الحقيقة .

عاد الإمبراطور يصرخ ساخظا :

— كاذب .. كاذب .. كاذب ..

ثم رفع القضيب الشفاف نحو رأس الدكتور ( عبد الله ) ،

مستطرذا في صرامة محققة :

— سأمنحك فرصة أخيرة يا رجل .. قل لي أين الرائد

( نور ) ، أو أنسف رأسك نسفا .

هتف الدكتور ( عبد الله ) :

— أقسم لك يا مولاي إنه قد هرب ..

صاح الإمبراطور :

حفر التاريخ الجديد اسمه بحروف من ( نور ) ، في سجل  
الشهداء والأبرار ..  
سقط الرجل شهيداً ..  
سقط بطلاً ..

وعلى أرضية القاعة الإمبراطورية ، سالت دماء الرجل ،  
وامتزجت بدماء القائد الأعلى ..  
وصاح الإمبراطور في غضب :

— بشر حقى .

ثم التفت إلى أحد رجاله ، مستطرداً :

— احمل جثتيما بعيداً .

وصمت لحظة ، ثم استطرد :

— وأعلن بيان الاحتلال ، ورفع علم ( جلوربال ) في كل  
مكان ..

— احتفل بالنصر ..

\*\*\*

كان ( نور ) و ( سلوى ) و ( نشوى ) و ( محمود )  
يراقبون المناشآت ، عندما نقلت إليهم بئحة بيان الاحتلال ..  
و في صوت حشن صارم ، كان الإمبراطور يقول في حديث  
مستجلاً مستبقاً :

— حسناً .. إلى أين هرب ؟ وأين ذهب ؟

هزّ الدكتور ( عبد الله ) كتفيه ، قائلاً :

— لست أدري .. إننى أجهل الكثير عن الشقّ العمليّ  
السرى لرجال المخابرات العلمية ، و.....  
صرخ الإمبراطور :

— صنة يارجل .. كذبك يصينيى بالغيان .

قال الدكتور ( عبد الله ) في هدوء شديد ، بدا عجبياً  
بالنسبة للموقف :

— يمكنك أن تحمل هذا الشعور .

ثم انفجر فجأة ، صائخاً في غضب :

— لأننى أحتمله منذ التقيت بك .. أنت أيضاً تصينيى  
بالغيان والاشتمزاز .. فأنت شيء حقير ، يرغب في مذّ رقعة  
سيطرته إلى خارج كوكبه ، واختار كوكبنا ليستكمل فيه  
شروبه . و.....

لم يدعه الإمبراطور يكمل حديثه ..

لقد أحرسه ..

أحرسه بطلقة من أشعة أرجوانية ، نسفت رأسه على  
الفور ..

وتهاوى الدكتور ( عبد الله ) جثة هامدة ..

— بأهل الأرض .. منذ اليوم وأنت أيامكم السابقة ..  
ومنذ اليوم صرتم أتباعاً لنا .. نحن أهل كوكب ( جلوربال )  
العظيم .. ومنذ هذه اللحظة ، صارت هناك أمور ينبغي  
اتباعها .. فلا تعليم ، ولا فن ، ولا موسيقى .. ولا صلوات ،  
ولا علم ولا مرح .. العمل وحده هو حياتكم ، من الآن  
فصاعداً .. وستوزع عليكم ، وتعلق في كل مكان ، قائمة  
بالمتنوعات .. ستكون عديدة ، ولكن كلها ستخضع لعقوبة  
واحدة ، هي الإعدام .

غمغم ( نور ) في مرارة :

— أيها الوغد الحقيق .

ثم سألت من عينيه دموعاً قهراً ، امتزجت بدموع رفاقه ،  
عندما شاهد الجميع علماً أزرق اللون ، تتوسطه دائرة حمراء ،  
يرتفع في كل مكان ، بدلاً من أعلام الدول ..

إنه علم ( جلوربال ) ..

علم الاحتلال ..

ولم تكن هذه أيضاً هي النهاية ..

بل كانت البداية ..

\*\*\*

[ انتهى الجزء الأول ، ويليه الجزء الثاني ]

( المقاومة )

رقم الإيداع ٣٢١٥